حب

1190
١١٩٠

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

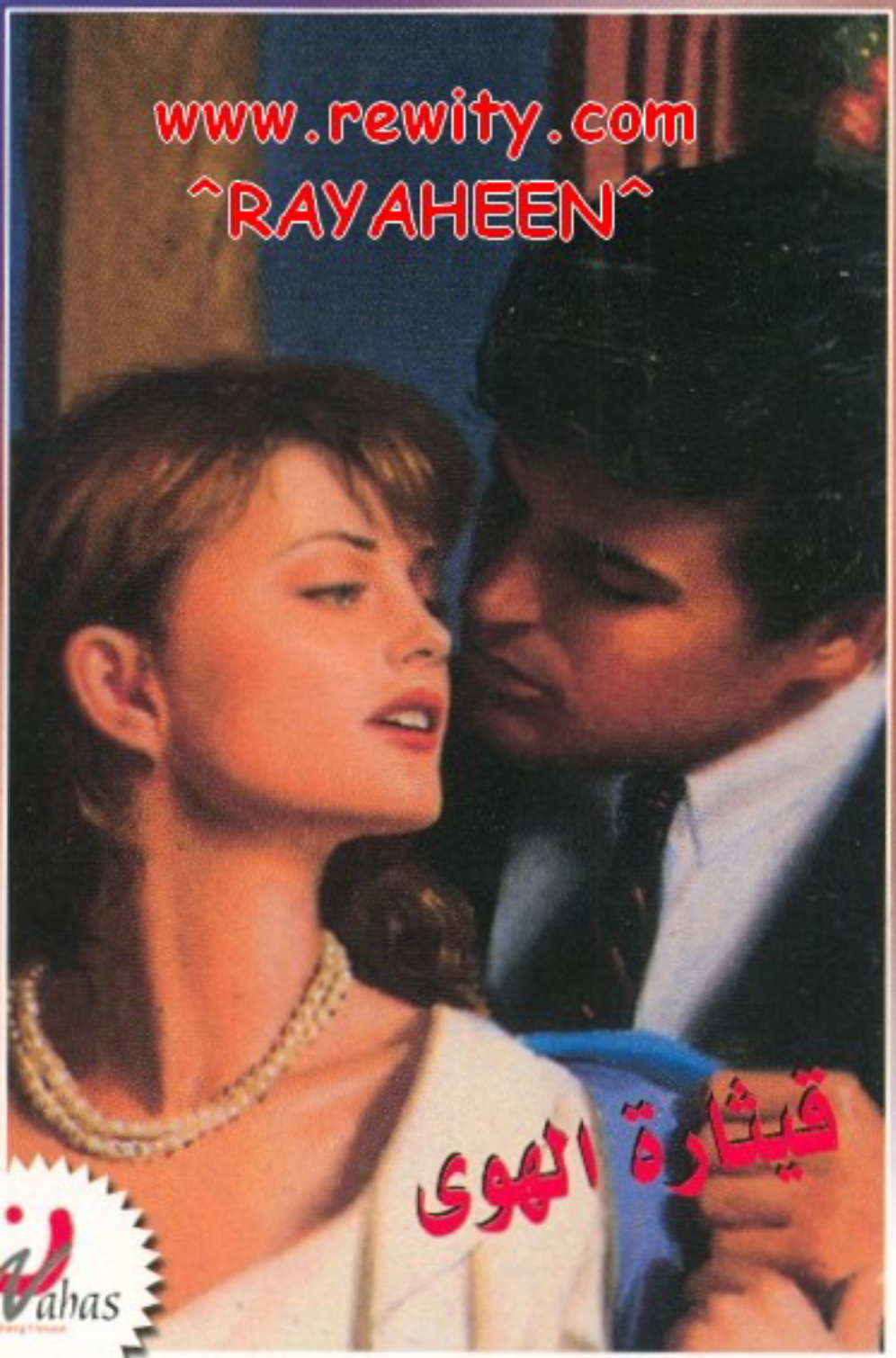

قيثارة الهوى

صادر عن دار م. النحاس

قيثارة الهوى

«ليس من الحكمة دوماً، يا آنسة، ان تجازفي.»
كان في صوته نبرة غريبة. كان أشبه بالتحذير الذي يقرب من الوعيد. وشعرت ميغ بقشعريرة تسري في جسدها، ام لعلها مجرد تصورات من أثر الصدمة التي انتابتها؟
ورأت ابتسامته تلتوي قليلاً بطريقة تهكمية وكأنه ادرك ما تفكر فيه..

www.rewity.com RAYAHEEN

الفصل الأول

«إنه حل مناسب تماماً، يمكنك ان تذهبي لتأخذي مكاني.»
ولكن قول مارغوت ترانت المرح هذا، قوبل بصمت عميق. وتمتمت ميغ لانغتري:«دعيني استوضح الأمر تماما. انك تريدين مني ان أسافر الى جنوب فرنسا، في الشهر القادم، وأمكث مع خالتك في قصرها، منتحلة شخصيتك.» وسكتت وهي تلقي على أختها غير الشقيقة نظرة طويلة متأملة، لتتابع بعدها قائلة:«هل هذه هي العناصر الأساسية في التمثيلية؟»
سألتها مارغوت:«وما الخطأ في هذا؟ ان تلك العجوز تريد من يمكث معها لمدة اربعة اسابيع لكي تتمكن مرافقتها المستبعدة تلك ان تأخذ فرصة ترتاح فيها، فما هي المشكلة في ما لو ادعت فتاة بأنها مارغوت ترانت؟»
فردّت عليها ميغ بسخرية بالغة:«ليس ثمة مشكلة طبعاً، حتى عدم الشبه بيننا، ليس له اهمية على الإطلاق.»
فهزت مارغوت كتفيها قائلة:«إنني شقراء، وأنت سمراء.» وألقت نظرة استخفاف على شعر ميغ البني المسترسل البسيط الطراز، وهي تتابع:«وهذا ما يمكن تعديله بسهولة، اما بالنسبة للأشياء الاخرى، فهي عمياء تقريبا وهذا هو السبب في حاجتها الى مرافقة دائمة، فهي لن تتمكن من رؤيتك بوضوح.»

www.rewity.com ~RAYAHEEN~

تمتمت ميغ:«هذه هي نهاية طموحي.»
مالت مارغوت الى الأمام قائلة بحدة:«هيا ياميغ، يمكنك القيام بذلك بكل سهولة، ذلك انه ليس ثمة وظيفة لك تقلقين بشأنها ما دامت المكتبة التي تعملين فيها ستقفل أبوابها في نهاية الأسبوع. يجب ان تدركي هذا.»
قالت ميغ معترضة:«ولِمَ لا؟ ان البرلمان يمنح لأعضائه إجازة في الصيف. مَن المؤكد ان ستيفن سيعطيك إجازة.»
اجابت مارغوت وقد ظهر على وجهها الجميل انفعال مفاجيء:«ربما سيفعل إذا أنا طلبت منه ذلك، ولكنه على وشك ان يطلب الطلاق من زوجته، وأنا لا اريد ان اتركه في هذا الوقت بالذات.»
تمتمت ميغ بجفاء:«لقد فهمت.» ذلك أنه، مهما كان رأيها في هذا العمل المقيت، فقد كانت اختها بسبيله منذ وجدت عملاً كسكرتيرة عند ستيفن كيرتيس عضو البرلمان الشاب الذي كان مرشحا لرتبة وزارية في الحكومة المقبلة.
قالت مارغوت باستياء:«ثم أنه ليس لديه الحق في استدعائي بهذا الشكل المفاجيء، انني لم أرها منذ كنت في التاسعة من عمري.»
قالت:«إنني اعجب لعدم سماعي بها حتى الآن.»
هزت مارغوت كتفيها قائلة:«إنها في الواقع، عمة أبي، وكانت تحبه كثيرا. وقد أطلق عليّ اسمها. وهكذا، نحن الثلاثة، بنفس الاسم. أليس هذا شيئا جميلا؟»

اجابت ميغ وهي تهز رأسها:«هذا غريب، ولكنه خارج عن موضوعنا الآن، ألا يمكنك ان تكتبي إليها لتخبريها بعدم تمكنك من الذهاب إليها.»
اجابت مارغوت بحدة:«كلا، ان هذا في منتهى الغباء. ذلك ان ليس لها اولاد ولا اقرباء حسب ما اعرف. وإرث مثل قصر في لانغيدوك هو شيء لا يمكن الاستهانة به. وهكذا ترين ان من الضروري ان اكون بجانبها.»
ونظرت الى ميغ بابتسامة متوسلة وهي تستطرد:«او تقومين انت بذلك بإسمي.»
عضت ميغ شفتها قائلة:«لا سبيل الى ذلك. لأننا لن نستطيع الافلات من سوء النتيجة، هذا عدا عن الاعتبارات الاخلاقية.»
اجابتها مارغوت:«ليس ثمّة ضرر في ذلك. الأمر هو ان مارغوت ترانت قد استدعيت. ومن المفروض ان هذه ستصل في الوقت المعيّن. وأنت مناسبة، اكثر مني للعناية بعجوز كئيبة. اجعليها راضية لأجلي، وسأكون شاكرة لك إلى الأبد.»
قالت ميغ وهي تدفع شعرها الى الخلف:«أهذا إذن، هو الحافز الذي يدفعني للقبول؟ انك حقا، عديمة التفكير يا مارغوت. وعليك ان تقومي بعملك القذر هذا بنفسك.»
قالت مارغوت وهي تنظر الى اظفارها:«هل انت ذاهبة؟ كنت أظن ان المكتبة تقفل أبوابها ايام الاربعاء.»
اجابت ميغ:«هذا صحيح. وأنا امضي هذا النهار مع مربيتي تيرتر كالعادة.»

قالت مارغوت:«طبعاً في منزلها الجميل، ام عليّ ان أقول بيتنا؟»
ضاقت عينا ميغ لتقول بعد برهة:«ان منزل بريدونس هو لإقامة المربية طوال حياتها. لقد أوضح أبي ذلك قبل موته.»
قالت مارغوت:«نعم، ولكنه لم يقرر ذلك كتابة، يا حبيبتي، وليس هناك وثيقة قانونية بذلك. ومنذ أيام قامت والدتي بزيارة خاطفة إليه. ذلك ان اصدقاءها، آل نيستور، يبحثون عن مكان يمضون فيه عطلة نهاية الاسبوع. ويبدو ان هذا المكان ملائم جدا.»
حدقت ميغ فيها قائلة:«إنك طبعاً غير جادة بذلك. ان المربية مولعة جداً بالبيت.»
اجابت مارغوت بجفاء:«طبعاً لا بد أنها كذلك، فهو مكان مرغوب جداً.»
قالت ميغ:«ولكن، ليس ثمة مكان آخر لتذهب إليه.»
فأجابت مارغوت والحقد يكسو ملامحها:«هنالك ملجأ العجزة، إن لأمي اصدقاء في جمعية الخدمات الاجتماعية وأنا واثقة من أنهم سيساعدونها في ذلك.»
ارتجفت ميغ وهي تتنفس بصعوبة قائلة:«إن هذا سيقتلها، والإقامة في ملجأ يرعبها، وهي بإمكانها ان تخدم نفسها بنفسها.»
قالت مارغوت ببرود:«إن الامر، في هذا، بيدك انت، ذلك انه إذا قبلت بالذهاب الى لانغيدوك فسأقنع أمي بأن طرد المربية من البيت سيكون خيانة لذكرى ابيك.»

سألتها ميغ بخيبة أمل:«وهل هذا يغير من الأمر شيئاً؟»
اجابت مارغوت:«بالطبع، فقد كانت مولعة بأبيك جداً، رغم انها لم تكن تحب المربية وطريقتها في السيطرة، هذا الى جانب ان كلمتي الآن مسموعة عندها، فأنا أوجهها أينما وكيفما شئت، ذلك لأنها مستميتة كي يكون لها صهر نائب في البرلمان.»
فكرت ميغ عابسة، معنى هذا ان تذهب زوجته كيرين وأولاده الى الجحيم.
تابعت مارغوت بدهاء:«حتى ان في استطاعتي ان اجعلها تكتب شيئاً باسم المربية، هذا إذا ذهبت انت للمكوث مع خالتي لمدة شهر، إنني بحاجة الى معونتك، يا ميغ، إذ عليّ ان ابقى هنا لكي استمر بالضغط على ستيفن.»
قالت ميغ ببرودة:«إن قمت انا بهذا الأمر، فلأجل المربية وليس لأساعدك في الحصول على الرجل المتزوج.»
تمطت مارغوت بسرور وهي تقول:«دعي عنك هذا الغرور، فأنت ستذهبين الى فرنسا لمدة شهر كامل وكل التكاليف مدفوعة، ماذا تريدين غير ذلك؟»
وابتسمت راضية وهي تتابع:«كذلك سأعيرك سيارتي لكي تذهبي بها الى فرنسا، وعليك ان تبدأي بالتمرين على القيادة منذ الآن.»
اطبقت ميغ اسنانها بشدة وهي تقول:«انني لم أقل بعد انني سأذهب.»
فارتسمت على شفتي مارغوت ابتسامة الثعلب وهي

تقول:«ولكنك ستذهبين، وإلا فإن المربية العجوز المسكينة ستصبح دون مأوى، فالخيار في ذلك يعود إليك.»

وبعد ذلك بأسبوعين، كانت ميغ في طريقها مرغمة الى جنوب فرنسا.

لم تكن تريد ان ترضخ لهذا، ولكن نظرة منها الى مربيتها وهي تجول في انحاء البيت سعيدة نشيطة، غافلة عما ينتظرها من اصدقاء السيدة لانغتري، جعلتها تغير رأيها.

والسيدة ايريس لانغتري، نفسها، لم تكن مسرورة بهذه المساومة، ولكنها قبلت بالأمر مرغمة، هي الاخرى، وتنهدت وهي تقول:«ان مارغوت تستحق السعادة، كما ان ستيفن هو رجل رائع بينما زوجته امرأة لا تعرف سوى الخدمة في بيتها، انه بحاجة الى امرأة تقف بجانبه وتدفعه الى الأمام في مهنته السياسية هذه.»

فكرت ميغ متهكمة في أنه لا عجب إذا كانت البلاد في مثل هذا التدهور، إذا كانت نظرة ستيفن الى مارغوت تحوي هذا الرجاء، اما بالنسبة لأعمال البيت، فليس ثمة من يمكنه القول إنها تصلح لشيء ما عدا غلي الماء على الأرجح.

تلقت من ايريس لانغتري بعض الملابس الجديدة التي أصرت هذه على دفع ثمنها قائلة تسكتها عن الاحتجاج:«من المفروض انك بمثابة ابنتي ولهذا، فلا يمكنك ان تسافري بمثل هذه الملابس.»

كذلك كان لون شعرها الجديد ناجحا بشكل غير

متوقع، فقد أصبح اشقر داكناً. ولم تجد الوقت لكي تبكي على عملها في المكتبة والذي زاولته طيلة الثمانية عشر شهرا الماضية بعد تقاعد صاحب المكتبة او تقلق، اثناء انتظارها ان تمر هذه المغامرة الفرنسية بسلام، ذلك ان مشاكلها الحالية تكفيها.

دهشت وهي ترى مخدومها، السيد اتواي يومىء برأسه وهي تخبره بوجهة سفرها، راضيا وهو يقول:«آه، لانغيدوك أرض اغاني التروبادور الشاعرية والكاثار.»

سألته ميغ:«وما الكاثار؟»

أجاب:«إنها طائفة دينية باقية من العصور الوسطى، وهي تعتقد ان الحياة بأجمعها آثمة، ولا بد من الاستمرار في البحث عن النور. ان كل مقاطعات اللانغيدوك كانت غنية ومستقلة عن ملك فرنسا الذي كان يكره رايموند أوف تولوز أكبر أسياد الجنوب ويحسده على ثرائه وجمال وحضارة حياته في الجنوب، فكان ان فكر في اتخاذ الكاثار ذريعة لغزوه ومحاربته وسلبه أملاكه. ولكنك ستعشقين تلك المنطقة. فهي بلاد شاعرية مليئة بالمتناقضات، فترين فيها الضحكات السعيدة الدافئة الى جانب الدموع، الحب الصادق الى جانب الكراهية والحقد الذي لا يعرف التسامح، الشمس اللاهبة والعواصف الثائرة عندما تفلت الطبيعة عن عقالها.» وابتسم بخبث وهو يرى الخوف يكسو ملامح ميغ واستطرد بعنف:«ربما في إمكان كل هذا ان ينفض عنك قليلا

هذا الجمود الذي يحيط حياتك رغم صغر سنك.»
قالت باحتجاج:«ولكنني سعيدة بذلك.»
قال:«كلا، انك راضية فقط... وهذا شيء مختلف تماما. ولكنني متأكد، يا طفلتي، من انك لن تكوني نفس الفتاة عند عودتك من لانغيدوك.» وأطلق ضحكة جافة وهو يتابع:«كلا. ليس نفس الفتاة مطلقا.» وربت على كتفها. «إنني أتنبأ بأنك لن تعودي الى مجرد قناعتك تلك في حياتك، وستتمتعين بدفء الجنوب كاملا.»
ولكن ذلك الحر اللاهب، والعرق الذي كان ينضح به جلد ميغ في زحمة السير خارج قطار تولوز، لم يكن لينطبق عليه كلمة دفء، التي وصف بها مخدومها ذاك، هذه المنطقة الجنوبية. فقد كان السيارة التي استأجرتها، أشبه بالفرن بينما كانت ما تزال في مستهل رحلتها الى هاوت ارينياك، فقد وصلت الى فرنسا مبكرة يومين عن موعدها، وذلك لكي تمضي بعض الوقت لتشاهد المنطقة قبل ان تستقر بين آل دي بريسوَ كمرافقة للسيدة.
كانت هذه الفترة تساعدها على تمرين لغتها الفرنسية. فقد كانت متفوقة في هذه اللغة بين تلميذات صفها في المدرسة، كما كانت تحضر دروسا ليلية للتقدم بها. ولكن لم يكن أمامها فرصة لاختبار مهارتها في تلك اللغة، في قصر هاوت ارينياك، حيث ان السيدة مارغريت دي بريسو قد ابلغت اثناء المراسلة، ان مارغوت لا تتكلم الفرنسية. وعندما احتجت ميغ على

هذا القرار التعسفي بالإدعاء بأنها لا تحسن الفرنسية، قالت لها مارغوت ببساطة:«هذا شيء يفيدك تماما إذ بإمكانك الادعاء بعدم الفهم إزاء أي سؤال لا يعجبك.»
فقالت ميغ بمرارة:«لا اريد الادعاء بأي شيء.» فقد كانت تشعر بالذنب الى درجة بالغة.»
هذه اللعبة التي تقوم بها. ذلك انها في سبيلها الى خداع امرأة مسنة شبه عمياء، وذلك لكي تساعد اختها في العمل على هدم زواج حبيبها، وبالتالي تشريد إمرأة غافلة بريئة مع اولادها.
حتى ادراكها بأن هذا العمل سيعود بالفائدة على المربية إذ ستمتلك البيت، هذا الادراك لم يبعث العزاء في نفسها او يقلل منْ مبلغ الخسة التي تنتابها في عملها ذاك.
كانت هذه الأفكار تراودها وهي تنقر بأصبعها على المقود في انتظار الضوء الاخضر الذي لم يلبث ان ظهر لتتابع سيرها. تتقدم بحذر بالغ، اولا، لكي تعودٍ نفسها على قوانين السير في هذا البلد الغريب. وثانيا لكي تتعود على قيادة هذه السيارة التي وضعت تحت تصرفها. ولكنها سرعان ما أدركت انها تسير في طرقات جيدة أقل زحاما مما اعتادته في انكلترا، ليبعث هذا في نفسها الشعور بالارتياح.
كانت السماء زرقاء صافية، ولكنها، وهي تسير نحو الشرق، لم تلبث ان لمحت في الأفق البعيد سحبا تتراكم بصورة تنذر بالخطر. وفي الوقت الذي توقفت

RAYAHEEN rewity.com

فيه لتبتاع طعاماً للغداء، كانت تلك السحب قد حجبت السماء. وألقت نظرة قلقة على الجو المدلهم، وهي تقفل راجعة الى سيارتها تحمل بعض السندويتشات وزجاجتي مياه معدنية.

كانت قد صممت على إن تقوم بنزهة في بقعة هادئة، واختارت، لذلك طريقا بعيدا عن الشوارع العامة لتتمكن من قيادة السيارة على مهل ولكي تتعرف الى فرنسا الحقيقية.

بدا لها الآن، وكأنها على وشك ان تتعرف الى جوّ فرنسا الحقيقي ايضا. إذ أنه، مع ان الحرارة كانت ما تزال مرتفعة، فقد كانت السحب تنذر بجو عاصف، ولكن، ما ان ابتدأت قطرات المطر تصفع زجاج السيارة على مهل ولكي تتعرف الى فرنسا الحقيقية.

بدا لها الآن، وكأنها على وشك ان تتعرف الى جو فرنسا الحقيقي، مع ان الحرارة كانت ما تزال مرتفعة، فقد كانت السحب تنذر بجو عاصف، ولكن، ما ان ابتدأت قطرات المطر تصفع زجاج السيارة الأمامي، حتى تخلت، مكرهة، عن قرارها في تناول طعامها في الهواء الطلق، لتركز اهتمامها على إيجاد مكان تمضي فيه ليلتها. وقد التقت في آخر مدينة مرت بها، بفتاة رقيقة الشعور ارشدتها الى فندق صغير يدعى الأوبيرج يقوم في نهاية طريق جورج دي بيرون مشيرة إليه بعلامة على الخارطة التي كانت ميغ تحملها.

وجدت نفسها تسير في طريق متعرجة تحف به صخور شاهقة. وما لبث الطريق ان اصبح في محاذاة نهر غير

عميق يتدفق فوق الحصى، لتعرف انها قد وصلت الآن الى الطريق المقصود الذي يقع الفندق في نهايته.

وعندما اشتد هطول المطر، فكرت فزعة، بأن خير البرّ عاجله، فقد ابتدأ الرعد والبرق الآن، في التناوب. وأطلقت ميغ بعض الشتائم وهي تدير المساحة على الزجاج أمامها والتي لم تجد لها فائدة ملموسة امام تدفق المطر الذي كانت الريح تصفع به الزجاج، مما جعلها لا تجرؤ على متابعة القيادة في ذلك الطريق غير المستقيم. وهكذا، اتجهت بالسيارة الى الجانب الصخري من الطريق حيث اوقفتها هناك محتمية به.

من ذا الذي كان يتوقع مثل هذا التغير السريع في الجوّ؟ مع ان السيد اوتواي كان قد حذرها من تقلبات الجو السريعة هذه، مُنبهاً إياها الى ان افضل ما في إمكانها ان تفعله في هذه الحال، هو البقاء في السيارة بدلاً من تعريض نفسها الى صاعقة البرق.

وشعرت فجأة بالبرد، فتناولت سترتها من المقعد الخلفي تشدها على كتفيها. وألقت نظرة على النهر شعرت معها بقشعريرة باردة. كانت حرارة الجو في انخفاض مطرد. وكانت مياه النهر في ارتفاع حتى أصبحت متدفقة على ضفتيه.

شعرت بشيء من الفزع، وبأن هذا المكان غير مناسب للوقوف. ولكن لا بد لها من البقاء حيث هي إلى ان يخف هطول الامطار على الأقل. ذلك ان العاصفة قد اصبحت الآن فوقها تماما، كما كان الرعد والبرق متزامنين معها تقريبا. وشعرت ميغ وكأنها تحدق في

جدار من الماء. ربما كان من الافضل لها لو انها وصلت في نفس يوم الموعد، فتجد من يستقبلها في المطار كما كانت السيدة دي بريسو قد اقترحت. إذ هذا هو الطريق السوي الذي اعتادت هي ان تتبعه اكثر حياتها.

خاطبت نفسها قائلة، لماذا انت ضجرة الى هذا الحد، وأين روح المغامرة فيك؟ وتأرجحت السيارة فجأة إثر زوبعة مفاجئة، وارتجفت ميغ بالرغم عنها، لتصرخ رعبا وهي ترى الباب الى جانبها يفتح بعنف لتمتلىء السيارة بالهواء البارد الرطب.

وظنت، للوهلة الأولى، بأن هذا من فعل العاصفة لترى شبحا قاتما متدثرا بمعطف فضفاض، يقف بالباب يحدق فيها، فانكمشت في مقعدها، وهمت بالصراخ مرة اخرى لولا ان الرعب قد اخفى صوتها.

وجاءها صوته يقول بهدوء يخفي انفعالا حاداً:«لعلك مجنونة تماما، هل تريدين ان تموتي؟ هيا ابتعدي بهذه السيارة الآن، في هذه اللحظة.»

لم يكن هذا الذي يتكلم، شبحاً، صوّرته لها العاصفة، ولكنه كان رجلا غاضبا. وقد تكلم بالفرنسية وأجابته هي بنفس اللغة بصورة آلية، وقد أخذ قلبها يخفق بمزيج من الراحة والحذر، وهي تقول:«ومن الذي اعطاك الحق في ان توجه إليّ الأوامر؟»

رد عليها بحدة:«إنه حق شخص يعرف هذه البلاد اكثر منك. ذلك ان الوقوف بالسيارة تحت هذه الصخور الشاهقة في حالة طقس كهذا، ينطوي على

خطر شديد ايتها الحمقاء الصغيرة. إذ انه كثيراً ما تحدث انهيارات ارضية، وفي هذه الحال تدفنين انت وسيارتك، هيا. تحركي بسرعة.»

ومهما كان مقدار الخشونة في حديثه ذاك، إليها، فأنه كان يبدو منطقيا في حديثه، ويعرف تماما ما يقول. وشعرت ميغ بشيء من الضيق، بأن من الافضل لها ان تمتثل لنصيحته تلك.

سألته ببرود:«وأين تقترح، إذن، ان اوقف السيارة؟»

فرد عليها عابسا:«ثمة مكان اكثر امانا على بعد مئتي متر، فاتبعيني وسأريك إياه. هيا بسرعة.»

توارى عن ناظريها بعد ان صفق الباب وراءه، وبعد لحظة رأت ميغ سيارة قاتمة تتجاوز سيارتها بمسافة قريبة. ادارت مفتاح المحرك، وقد انتابها الخوف، ولكن بدلا من ان يدور المحرك كالمعتاد، ساد صمت عميق ينذر بالسوء.

حاولت ميغ مرة ثانية وثالثة وقد أحست بالذعر ولكن المحرك بقي على عناده.

جاء من جانبها صوت ذلك المتلفع بالمعطف يسألها:«ماذا حدث؟»

قالت بالانكليزية بصوت منخفض تبدو الخشونة في نبراته:«ما الذي تراه أمامك ايها الثرثار، ان محرك السيارة لا يدور.» وأخذت تفتش في ذاكرتها عن كلمات فرنسية اكثر رقة.

فقال:«إنك إذن انكليزية. كما يجب ان اتكهن بذلك.» وبدت في لهجته نبرة ازدراء. وتجمدت ميغ غيظا، انه

إذن يعرف لغتين. وتوردت وجنتيها وهي تتذكر لهجتها الفظة التي تشبه لهجة تلميذات المدارس.
سألها:«ما هي مشكلة السيارة الآن؟ هل من عادتها ان تسبب لك المضايقات؟»
اجابت بضجر:«لقداستأجرتها هذا النهار فقط، ولكن ها هو ذا المحرك يبدو كالميت. ربما دخلت المياه في المحرك.»
تمتم بكلمات لم تشأ ميغ ان تسمعها، ثم قال بلهجة آمرة:«اتركيها، إذن هنا، وتعالي معي.»
قالت محتجة:«ولكن لا يمكنني ان اتركها هنا، فهي ليست ملكي، ثم انني...» وترددت برهة، ثم تابعت تقول:«إنني لا اعرف اي نوع من ابناء آدم انت!»
قال بلهجة لاذعة:«حسناً، امكثي هنا يا آنسة، فبقاؤك هنا فيه ما يخيف، اكثر مما لو قبلت ما أقدمه إليك من مساعدة. والآن، اخرجي من السيارة قبل ان يغرقنا المطر نحن الاثنين.»
اطاعته ميغ مكرهة وقد جفلت للمطر الذي بلل حذاءها وجوربها تماما. وكان الوصول الى سيارته اشبه ما يكون بعبور نهر ضحل. لا بد ان يبللها المطر تماما قبل ان تجتاز مسافة مترين فقط. وفكرت بإكتئاب في ما عسى ان تكون ردة الفعل عند السيدة دي بريسو في ما لو وصلت مرافقتها الجديدة وهي مصابة بالتهاب رئوي.
وسمعت بجانبها آهة تدل على نفاد صبر، لترى نفسها وقد لفها معه بالمعطف الذي يرتديه، ليقودها بعد ذلك،

وكأنه يحملها حملاً الى سيارته، وأفعمت انفها رائحة عطره الأخاذة التي تفوح منه.
عندما دفعها بخشونة الى المقعد الأمامي في سيارته، شهقت وهي تقول ساخرة:«شكراً.»
قال وهو يجلس خلف المقود:«لنبتعد من هنا، فهذا المكان معروف بخطورته.»
وما ان اتم كلامه، حتى سمعت صوتاً أشبه بأنّة عميقة تبعتها ضجة غريبة. ادارت برأسها الى الخلف تنظر الى حيث كانت واقفة، لترى، غير مصدقة عينيها وقد تملكها الرعب، شجرة سقطت من الاعالي وقد اجتثت من جذورها، لتستقر على سيارتها الرينو محدثة ضجة مفزعة سرعان ما تبعها سيل من التراب والحجارة إنهالَ على السيارة ليرتد بعدها قافزا الى الطريق ممثلا نموذجا مصغرا لسلسلة من الانفجارات.
ووصلت بعض تلك الاحجار الى السيارة الثانية التي جلسا فيها مصعوقين دون حراك.
تبع ذلك صمت عميقٍ حيث ان المطر قد توقف الآن وكأنه قد اكتفى تماما بما حدث.

الفصل الثاني

كان مرافق ميغ هو الذي اخترق هذا الصمت قائلاً بهدوء وهو يهز كتفيه:«هكذا إذن.»
تنفست ميغ وهي تقول:«شكراً... شكراً لك.»
كان الدمار في سيارتها ينحصر اكثر من ناحية السائق. فقد كان السقف المحطم قد التصق بالمقعد، كما تهشمت الواجهة الزجاجية بفرع كبير من تلك الشجرة.
وفي ذلك المكان بالذات، كانت هي، منذ لحظة واحدة، جالسة شاعرة بالأمان التام. ولو لم يأت هو، في تلك اللحظة، ليرغمها على ترك مكانها ذاك... ولم يستطع عقلها، الذي أذهلته الصدمة، متابعة التفكير في ما كان سيحدث لو تمسكت بعنادها ولم تطعه في ذلك، وحاولت ان تتكلم.. أن تشكره بصورة صحيحة هذه المرة، ولكن بدلاً من ذلك، وجدت نفسها تنخرط في البكاء.
وهمهم بشيء ما، بعدما جلس قربها، رامياً بالمعطف الى المقعد الخلفي، وهو يتناول زجاجة تحوي شراباً منعشاً، فتحها ثم قدمها إليها قائلاً:«هيا اشربي هذا.»
وتناول علبة المناديل الورقية يقدمها إليها، لتتناول منها واحدة تغطي بها عينيها وهي تنشج قائلة:«سيارتي، سيارتي...»
حاول أن يهدأ من روعها، فقال:«عندما استأجرت

السيارة، اخذت بها بطاقة تأمين مما يخول لك اخذ بديل لها، ولكن الامر ليس كذلك بالنسبة الى حياتك.»
قالت وهي تقاوم دموعها وقد ابتدأت تتمالك نفسها:«انك على حق.»
عندما هدأت تماماً، واستطاعت ان تتكلم، قالت:«ان كل اشيائي كانت في صندوق السيارة. إنني اعرف ان من الحماقة ان اقول هذا...»
قال وهو يأخذ مفاتيح سيارتها من يدها المتهالكة:«سأحضرها إليك.»
تعلقت بذراعه قائلة:«كلا. لا تجازف... دعها.»
قال وقد تحولت لهجته الى الرقة:«لا بأس، انظري الى صندوق السيارة فهو سالم تقريبا.»
قالت:«ولكن ربما يحدث انهيار آخر للأرض.»
ذلك ان البرق والرعد كانا لا يزالان يتناوبان في السماء فتهتز تلك الأنحاء. وتخيلت ميغ انهياراً صخرياً آخر ينهال على هذا الرجل كما حدث بالسيارة. ولأول مرة، وجدت نفسها تحدق فيه للمرة الأولى، في الضوء المنبعث من السيارة. كانت تدرك انه طويل القامة، وقد سبق وأخذت فكرة عن مبلغ قوته اثناء اندفاعهما السريع ذاك من سيارتها. ولكنها ترى الآن انه كان شاباً فتياً في بداية الثلاثينات من عمره، رغم انها لم تكن خبيرة بمثل هذا التقدير.
رأت شعراً كثيفاً اسود منظماً، ووجهاً نحيفاً ذا خطوط حول الفم والأنف والذقن توحي بالقوة والكبرياء.

www.rewity.com RAYAHEEN

هذا الى عينين قاتمتين عميقتين تحت جفنين ثقيلين.
هز كتفيه مرة أخرى، وهو يقول:«اظن ان الاسوأ في ما يمكن ان يحدث، قد مر وانتهى.» وارتسمت على شفتيه ابتسامة جانبية وهو يتابع:«هذا الى انني احمل طلاسم سحرية.»
ربما كان هذا صحيحاً. وجلست لا تجرؤ على النظر خلفها، متوقعة، بين لحظة وأخرى، ان تسمع صرخة ألم. ولكن، لم يكن هناك سوى اندفاع الماء الى النهر المتدفق المتعاظم شيئاً فشيئاً. وفي ناحية قريبة، تعالت زقزقة طير تعلن انتهاء العاصفة.
تخيلت انه غاب اكثر مما ينبغي، فأدارت رأسها لتراه واقفاً عند مؤخرة سيارتها الرينو وقد تجمد مكانه وكأنه استحال الى صخرة هو الآخر. وفكرت في أنه ربما كان صندوق السيارة من التهشم بحيث لم يستطع فتحه، ولكنها كانت مخطئة، إذ أنه توجه في الحال الى سيارته الستروان، وقد حمل حقيبتي سفر في كلتا يديه. لتسمع بعد ذلك صوت ارتطامهما وهو يضعهما في صندوق سيارته.
عندما عاد إليها، بدا مقطباً حاجبيه مستغرقاً في التفكير. وانتابها شعور بأنه ربما كان غاضباً من شيء ما يحاول اخفاءه. ربما ادرك ان شهامته هذه شكلت عليه عبئاً مؤقتاً بالنسبة الى مسافر غير مرغوب فيه، على الاقل.
انتابها الأسف، فهي لم تكن تلومه لامتعاضه الذي اصبح من واجبها، الآن التسرية عنه.

قالت بحذر:«لقد كنت معي في منتهى الشهامة، وأنا اكره ان اثقل عليك اكثر من هذا. ولكنني في حاجة الى ان اصل الى فندق الاوبرج سورس دي بيرون حيث بإمكاني الحصول على غرفة هناك، وسوف اتدبر امر السيارة.»
بدا مستغرقاً في التفكير، ولكنه، عندما سمع كلامها، أدار رأسه اليها يقول بشيء من الدهشة:«هل سبق وحجزت غرفة في الاوبرج؟»
قالت:«حسنا، في الحقيقة كلا، ولكنه المكان الذي كنت ذاهبة إليه قبل حدوث العاصفة تلك. فقد ارشدوني إليه.»
قال:«انه مكان محبوب عند السواح. وكان من الافضل لو كنت حجزت غرفة مُقدما.» وازداد تقطيب جبينه وهو يستطرد:«أليس عندك خطة بديلة لهذه؟»
اجابت:«ليس ثمة ما هو مؤكد.» وسكتت. فلم يكن في استطاعتها ان تطلب منه ان يأخذها كل ذلك الطريق الى هاوت اريناك. لقد كان هذا الذي حدث، نكسة قوية افشلت مخططها، ولكنها كانت تشعر بالخوف من ان تصل الى القصر مبكرة عن الموعد دقيقة واحدة.
واستطردت وقد بدت على شفتيها شبح ابتسامة:«عليّ ان اجازف لاحتمال ان اجد غرفة خالية.»
ألقى عليها نظرة اخرى طويلة، ثم قال بلطف:«ليس من الحكمة دوماً، يا آنسة، ان تجازفي، خصوصاً حين تكونين بعيدة عن موطنك.»
كان في صوته نبرة غريبة تتضمن نوعاً من التحذير

الذي يقرب من الوعيد، كما تراءى لها، جعل رعشة تشمل جسدها بأكمله. ام لعلها مجرد تصورات نتيجة للصدمة التي اصابتها؟ لا بد ان الامر كان كذلك، لأنه ابتسم لها فجأة، وكانت ابتسامة فاتنة خففت من صلابة فمه المتكبر ذاك.

لم يكن وسيماً بكل معنى الكلمة، كما بدا لميغ، ولكنه كان ذا جاذبية مخيفة. كان نوعاً من الرجال لم تحلم بمقابلته من قبل. انها تتمنى لو وصلت بسرعة الى الفندق كي لا تراه بعد ذلك، ذلك لأنها بالرغم من روح المغامرة التي تشعر بها، شعرت ان هذا الرجل يمثل خطراً اكبر من أي خطر يمثلة أي انهيار ارضي او صخري.

التوت ابتسامته قليلاً، وكأنما شعر بما يدور في خلدها، مما اشعرها بالسخرية، ليقول بعد ذلك وهو يدير المحرك:«هيا بنا نذهب.»

لم تكن الرحلة سارة ان المطر قد توقف، وابتعدت العاصفة الى حيث كانت تدمدم من بعيد، لتسمح للشمس الباهتة ان تتقدم، بظهورها، بالاعتذار لما حدث.

كان مرافقها هادئاً قليل الكلام، ولكن ربما كان ذلك كما تصورت ميغ، لتركيزه على القيادة في هذا الطريق الصعب الذي كان ممتلئا بالحطام، فقد كان يضطران الى التوقف مرارا لكي يزيحا من الطريق ما يكون هناك من احجار وأغصان اشجار تعترضهما.

قالت له اثناء عودته الى السيارة، وهو يمسح يديه

ببنطاله الجينز:«هل الطريق بهذا السوء على الدوام؟»

اجابها وهو يلقي إليها بنظرة جانبية، بينما كان يدير محرك السيارة:«لقد شاهدت طرقا اسوأ من هذه. لقد كان هذا ترحيباً بأولى زياراتك الى فرنسا.»

قالت عابسة:«وكيف علمت بأنها اولى زياراتي لفرنسا؟ اذالك من رداءة لغتي الفرنسية؟»

اجاب وهو يهز كتفيه:«ليس لدي أي فكرة وانما خمنت ذلك. كما ان لغتك الفرنسية ممتازة. وهذا غريب.» ونطق الجملة الأخيرة بجفاء.

سألته:«لماذا تقول ذلك؟»

اجاب بعد صمت قصير:«لأن الكثير من رجال بلدك لا يهتمون بتعلم لغتنا. انهم يظنون انهم إذا هم رفعوا صوتهم قليلاً، وأبطأوا بالكلام فسنفهم ما يقولون.»

اومأت ميغ برأسها آسفة، إذ سبق وسمعت نفس القول من المعلمة التي كانت تدرسهم اللغة الفرنسية في المعهد الليلي. وهي سيدة فرنسية متزوجة من انكليزي.

قالت:«اظن ان السبب في ذلك يعود لشعورهم بأنهم سكان جزر، فهم لا يشعرون بأنفسهم جزءا من القارة الاوروبية، وقد تتغير نظرتهم هذه إذا ما تم انشاء نفق القنال في بحر المانش.»

اجاب:«ربما.»

تبع ذلك صمت آخر، كان يقود السيارة بمهارة فائقة، كما لاحظت ميغ، وكانت يداه الرشيقتان تديران عجلة القيادة دون أي مجهود.

كانت ملابسه بسيطة، وبنطاله الجينز ذات قصة جيدة، وكانت اكمام قميصه الابيض مثنية تبرز عضلات ساعديه. والشيء الوحيد الذي كان يتزين به هو ساعة ذهبية.

لم تستطع ميغ، وهي تتأمله من تحت اهدابها، ان تخمن الفئة التي ينتمي اليها، مهنية كانت ام اجتماعية، ولكنها ما لبثت ان تذكرت قلة خبرتها في ذلك وأنها في ما يختص بالرجال كانت عديمة الخبرة تماما، ما عدا السيد اتواي صاحب المكتبة، وتيم هانزبي الذي كان يجمع كتب التاريخ العسكري، والذي دعاها، ذات مرة، الذهاب معه الى لندن في زيارة الى المتحف العسكري الامبراطوري.

استمتعت ميغ بزيارة ذلك المتحف اكثر مما توقعت. ولكن تيم، حيث انه كان وحيد والدته الارملة المتعلقة به، لم يكن ليصلح اكثر من مجرد صديق عادي. فقد كان ما يزال يعيش مع والدته. وقد شعرت ميغ، حينذاك، بالشفقة على الفتاة التي تقع في حبه، ذلك ان والدته كانت مصممة على ان تحتفظ بحياتها تلك معه كما هي دون تغيير. ومع ان مرافقها الآن لم يكن يبدو عليه انه مرتبط بأية امرأة، الا ان ميغ اعتبرت ان المظاهر قد تكون خداعة، فقد يكون مرتبطا بامرأة سليمة اللسان وفوج من الاطفال، وسيخبرهم هذه الليلة، بعد العشاء، كيف انقذ سائحة انكليزية وحيدة من العاصفة، جاعلاً مما حدث مجرد قصة مسلية.

عندما تنفرد به زوجته، في ما بعد، ستسأله، كيف تراها

تبدو تلك الفتاة الانكليزية؟ وسيبتسم هو ويقول:«انها مجرد فتاة عادية، فأنا لم أكد ألحظها...»

عندما نظر إليها، ادركت ميغ ان آهة خفيفة كانت قد أفلتت منها، فأسرعت تقول:«هل ما زالت الطريق امامنا طويلة الى الاوبرج؟»

اجاب:«حوالي الكيلو متر الواحد. هل تجدين الرحلة مملة؟»

اسرعت تقول:«اه، كلا. ولكنني اخشى ان يكون لديك عمل تود القيام به. انني اشعر بنفسي مزعجة.»

اجاب:«انت مخطئة، فأنا مسرورة بتقديم هذه الخدمة لك لأن هذا هو طريقي، فأنا سأمر بالاوبرج على كل حال، وهكذا، الفائدة تعود علينا نحن الاثنين. ان اسمي هو جيروم مونتكورت. هل يمكنني ان اعرف اسمك انت ايضا؟»

فتحت فاها لتقول ميغ لانغتري ولكنها عادت فترددت، ولم تقل شيئا. فقد جاءت الى هنا لتكون مارغوت وساورها الشعور بالذنب اذ وجدت نفسها تكاد تنسى ذلك. ولكن، بما ان الخداع لا بد ان يبدأ على كل حال، فلماذا لا تبدأ به مع هذا الغريب ما دامت لن تراه مرة اخرى؟ ولكنها، في نفس الوقت، ادركها الرعب من ان تدلي بتلك الكذبة المحضة. وفكرت، وهي تطلق آهة، انها ليست من النوع الذي يجيد حبك المؤامرات.

قالت بابتسامة مصطنعة:«دعنا نقل مارغريت فقط.» وفكرت في ان هذه نصف الحقيقة على كل حال، وقد لا تحتاج علاقتها معه الى اكثر من هذا.

قال بلطف:«انه إسم زهرة، وهو ايضاً اسم ملكة فرنسية مشهورة. ربما قد سمعت بإسم الملكة مارغوت وإسمها الحقيقي مارغريت دي فالو والتي تزوجت من هنري أوف نافار؟ وكانت من اجمل نساء عصرها. ويسمونها السيدة المغامرة.»

تحركت ميغ بقلق وهي تسمع الاسم، ثم سألته:«ما معنى هذا اللقب؟»

هز كتفيه قائلاً:«معناه انها كانت تحب المغامرات العاطفية، خصوصاً مع رجال غير زوجها. لقد اكتسبت سمعة سيئة جداً.»

قالت:«لا اظنها كانت سعيدة مع زوجها هنري اوف نافار اذن.»

ضحك وهو يجيب:«آه، ولكنه هو ايضاً لم يكن خالياً من العيوب. وربما كان هذا هو السبب في ان فرنسا ما زالت تذكره بأعجاب وتسميه الرجل الشجاع.»

قالت ميغ متسائلة:«وطبعاً، كان الزواج في تلك الايام، يقوم على المصلحة فقط. ولهذا، اظن ان الازواج كان لهم عذرهم في ذلك ما داموا قد ارتبطوا بغير حب.»

قال بسخرية:«وما رأيك بالنسبة للزواج اذا كان مرتبطاً بهذا الذي نسميه حباً؟»

قالت بحزم:«إذن فلا عذر ابداً للأزواج في الخروج على الرابطة الزوجية.»

قال:«ان كلامك هذا يدهشني.»

اجفلت قليلاً وسألته:«لماذا؟»

فتردد جيروم لحظة، ثم قال وهو يرفع كتفيه:«لأن هذا

قد اصبح رأياً قديماً ضد المفهوم الحديث. اما مفهوم العصر فهو، زواج سهل يتبعه طلاق سهل.»

هزت ميغ رأسها قائلة:«لا اصدق هذا، فالطلاق ليس سهلاً ابداً. ذلك ان احد الزوجين سيصيبه الضرر البالغ، خصوصاً إذا كان هناك اولاد.»

ألقى عليها نظرة سريعة وقال:«لم اتوقع ان التقي بفتاة مثالية.»

قالت برزانة:«انك، اذن لم تتوقع التعرف إلي ابداً.»

ابتسم مرة اخرى، فشعرت بجاذبيته تتغلغل في نفسها برقة فائقة مع ابتسامته تلك. وقال:«ألا تظنين ان القدر، وليس العاصفة، هو ما جمع بيننا.؟»

اطلقت ميغ ضحكة قصيرة، شاعرة برجفة خفيفة في صدرها، وهي تقول:«إننا، في انكلترا، يا سيدي، اعتدنا على توجيه اللوم الى الاحوال الجوية في كل شيء.»

ضحك، وقال:«وفي فرنسا، يا آنستي، زهرة المارغريت تميل دوماً نحو الشمس. تذكري هذا.» وسكت لحظة ثم عاد يقول:«هو ذاك فندق الأوبرج اصبح امامنا.»

فجأة شعرت بشيء من الخيبة تكتنفها. ماذا جرى لعقلها لتدع رجلاً غريباً يؤثر عليها بهذا الشكل؟ حقاً انه انقذها وأنها ستبقى مدينة له بهذا الجميل على الدوام، ولكنها لم تكن متأكدة من انه اعجبها. فقد كان شخصاً لا يمكن التنبؤ بسلوكه. الا يكفيها ما هي فيه من مشاكل، حتى تضيف اليها هذا ايضاً؟»

ربما كان من طبعه العبث ومغازلة اي فتاة يصادفها في

طريقه. وهي غير معتادة على هذا النوم من الرجال.
كان فندق الاوبرج دي سورس دي بيرون مبنى مريحا متشعب البناء، وربما كان سابقا منزلا في مزرعة وقد أقيم في خلفية باحة محاطة بسور.
دخل جيروم في ممر مسقوف الى حيث الباحة تلك ثم توقف. واستقامت ميغ في جلستها، ثم مدت إليه يدها باسمة وهي تقول:«حسنا، وداعا، مع شكري الجزيل.»
قال وقد بانت السخرية على شفتيه:«أراك متلهفة الى التخلص مني.»
اسرعت تقول:«آه، كلا، ليس الامر هكذا. ولكنني اخذت من وقتك الكثير.»
قال وهو يترك السيارة:«يجب ان تسمحي لي بتقدير ذلك بنفسي.» ودار حول السيارة يفتح لها الباب يساعدها على الترجل من السيارة وهو يتابع:«اذهبي واسأليهم إذا كان ثمة غرفة خالية، وسأحضر لك امتعتك.»
ومن خلال باب زجاجي،، دخلت الى قاعة الاستقبال مسقوفة بالقرميد، لتسقبلها الموظفة المسؤولة بغاية الترحيب، قائلة ان ثمة غرفة فعلا، وسيكون من دواعي سرورها ان تريها للآنسة، ولكن ثمة امر مزعج جدا وهو ان العاصفة قد تسببت في قطع التيار الكهربائي، وإلى ان يصلح هذا الخلل، فان هنالك الشموع والقناديل. اما بالنسبة الى غرفة الطعام... وأشارت الموظفة المسؤولة بيدها بيأس.

قال جيروم مونتكورت من فوق كتف ميغ:«هذا لا يهم. ان لآنسة ستتناول العشاء معي.»
شعرت ميغ بوجنتيها تتوهجان وهي ترى المرأة ترفع حاجبيها وهي تظهر موافقة ماكرة على هذا الحل، بوجه عام، وعلى شخصية جيروم بوجه خاص، ثم تطلب راجية من السيد ان يتكرم بنقل امتعة الآنسة الى الغرفة حيث ان المكلف بذلك مشغول تماما بملء القناديل، وهي لن تنسى هذا الجميل منه الى الابد.
ابتسم لها جيروم قائلا:«بكل سرور. ولكنني احب ان اعرف اولا ما إذا كانت العاصفة لم تضر بالأسلاك الهاتفية، إذ يجب ان نبلغ عن الحادث.»
ولما اجابت بأن الهاتف غير معطل، رفع جيروم حاجبه مخاطبا ميغ:«ارضين بأن اتصل بالمسؤولين لابلاغهم عن الحادث وأنهي الاجراءات الرسمية بالنسبة للسيارة؟ ان هذا سيسهل الامور بالنسبة اليك مهما كانت لغتك الفرنسية جيدة و...»
شكرته ميغ بخجل، ثم صعدت مع الموظفة عبر سلم خشبي عريض يقود الى خلف المبنى حيث غرفتها.
كان السقف منخفضا والأرض غير مستوية ولكن الأثاث كان ملمعا بالدهان، والسرير الواسع مفروشا بملاءات ناصعة البياض. وفي زاوية الغرفة، يقوم باب يقود الى حمام لا يزيد كثيرا عن خزانة الثياب. وكانت النافذة المربعة الصغيرة تبدو عميقة في الجدار الحجري السميك، وكانت مفتوحة لتسمح للشمس بالدخول. وكان الهواء ما يزال باردا مشبعا برائحة

RAYAHEEN rewity.com

زهر الخزامى. وبينما اخذت ميغ تتنفس بعمق، اومأت الموظفة برأسها راضية وهي تتلفت حولها، ثم خرجت عائدة الى عملها بعد ان اغلقت الباب خلفها.

وقفت ميغ امام النافذة. لقد كان يوما حافلا وإن يكن لم ينته بعد... إلا إذا شاءت هي ذلك. ولكنها لم تكن متأكدة من مشاعرها بالنسبة لهذا الأمر.

فكرت في شيء من الارتباك، بأن اشياء كهذه لا تحدث، في العادة، لها، وان طبيعة شعورها قد تغيرت. ان من المفروض انها مارغوت فهل تراها اخذت حياتها كما اخذت اسمها؟ وتساءلت، هل بمقدورها ان تسلبها ذلك؟

سمعت صوت الباب يفتح، وجيروم يدخل بأمتعتها. وابتدأ قلبها يخفق، وجف فمها.

قال وهو يرفع الحقيبتين ليضعهما فوق الحامل الخشبي المخصص لذلك:«سترسل الشركة إليك سيارةٍ ثانية صباح الغد. انما سيكون عليك ان تضعي تقريرا بالحادث. وأنا سأكون شاهدا على الحادث، وبهذا تتقي أي صعوبة.»

بقيتٍ مولية ظهرها إليه ثم قالت:«انني... انني شاكرة جدا.»

قال:«هل انت شاكرة الى درجة تقبلين معها دعوتي الى العشاء هذه الليلة؟» كان واقفا خلفها مباشرة.

كانت تحدق في المنظر الخارجي وكأنما كانت تريد ان تحفره في ذاكرتها. كانت الارض خلف سور حديقةٍ الفندق الصغيرة، تعلو بصخورها مما يشكل منظرا

برياً مثيراً، تنتشر في أنحائه مجموعات من الاشجار. وكان ثمة جدول ينساب بين مجموعتين من الصخور لكي ينحدر، بعد ذلك، بشكل شلال صغير. وكانت على جانبيه تقوم نباتات داكنة الخضرة.

قال جيروم من فوق كتفها:«انه نبع بيرون.» اومأت برأسها وهي ترتجف. وعاد يقول بعد فترة صمت:«انك، بالطبع، غير مجبرة على ان تقبلي دعوتي للعشاء.»

كانت تعرف ذلك، وتعرف أن رفض هذه الدعوة بأدب وابتهاج ظاهرين، انما هو افضل واكثر امانا. ولكن، بينما كانت تستدير لكي تجيبه، لمحت انعكاس صورتهٍ في زجاجٍ مصراع النافذة، كان وجهه قاتما حذرا وفمه مطبقا بحزم، شهقت وأدارت رأسها بحدة. ولكن، لا ان ما بدا على وجهه كان من تأثير الاضواء، لأنه كان ينظر إليها ببساطة وابتسامة شبه ساخرة.

قال بلطف:«امنحيني هذا السرور، يا مارغريت. هل يمكنني ان اعود اليك حوالي الساعة الثامنة؟»

اجابت:«نعم. انني اود ذلك.» وعندما اصبحت بمفردها في الغرفة، اخذت تتساءل عما....

الفصل الثالث

استمتعت ميغ بدوش طويل دافىء، لتمضي بعد ذلك وقتاً لا بأس به في اختيار ثوب ترتديه لهذا المساء، وفي النهاية، استقر رأيها على ثوب بسيط عسلي اللون ذي تنورة واسعة. ووضعت في أذنيها قرطين ذهبيين ثم نثرت على جسدها عطرها المفضل من روائح نينا ريتشي.

وقفت تتأمل مظهرها في المرآة مقطبة الجبين، ابتداءً من شعرها المنسدل على كتفيها وعينيها العسليتين الواسعتين، الى قدميها الرشيقتين في النعل الخفيف ذي الاربطة، والبرونزي اللون، ثم هزت رأسها وهي تفكر في انها تبدو غريبة عن ذاتها... وأنها أشبه ما تكون بالمرأة العجوز المذكورة في أغاني الاطفال.

شعرت بالاحباط وهي تفكر في ان جيروم مونتكورت لو كان قد جاء الى المكتبة حيث كانت تعمل طوال الثمانية عشر شهراً الماضية، ربما ما كانت ليوليها اي اهتمام، انها ما زالت لا تعرف لماذا قبلت دعوته هذه الى العشاء، فهذه لا تبدو لها خطوة حكيمة مطلقاً. ذلك إنها لا تعلم عنه شيئاً ما عدا اسمه الذي قد يكون مزيفاً، على كل حال.

انتابها الضجر، اخيراً، من كل هذه الوساوس، ألا يمكن ان تكون مخاوفها، تلك من ان يكون مخادعاً، ناشئة عن أنها هي نفسها تقوم بدور مخادع؟ انها لا

تنكر حماسه الفائق في تقديم المساعدة لها، ولكن ألا يمكن ان تكون هذه ناحية من شخصيته؟ وتذكرت ذلك التعبير الجامد المخيف الذي سبق ولمحته على وجهه المنعكس في زجاج النافذة، وقبل ذلك في السيارة حين شعرت، للحظة وكأن غضبه يمتد إليها كشيء حقيقي تماماً.

ربما كان من اولئك الاشخاص الذين يتبدل مزاجهم بسرعة... وربما، هذا اكثر احتمالاً، كان هذا كله مجرد تخيلات منها. وفكرت وهي تتحوّل عن المرآة، في انها لم تعد تعرف شيئاً، ولكن هذه الدعوة قد حصلت بحضور الموظفة المسؤولة، وهذا يجعلها فوق مستوى أي شبهة، وبعد، انها على الأقل، لن تتعشى وحدها في اول ليلة لها هنا في اللانغيدوك، وتملكها لذلك شعور بالبهجة.

حملت حقيبتها اليدوية وكتاباً عن الكاثار كان السيد اوتواي قد قدّمه إليها عندما ودعته، ثم نزلت الى الطابق الأسفل لتنتظره. وفي قاعة الاستقبال، كانت الموظفة مستغرقة في جدل حام في الهاتف مع واحد سيء الحظ من ممثلي شركة الكهرباء. ولكنها ابتسمت لميغ مشيرة إليها بأن تذهب الى باحة الفندق.

كانت الشمس قد عادت، بكل قوتها وتألقها، لتغرق الكائنات بفيض اشعتها الذهبية.

جلست ميغ الى إحدى تلك الطاولات الحديدية المزخرفة المنتشرة في الباحة، ترشف كوباً من العصير وتقرأ في الكتاب.

لم يكن من السهل، في هذه الامسية الرائعة، ان تركزِ ذهنها في ما تقرأه، كما انه مما يدعو للاكتئاب ايضا، ان الكاثار كانوا يعتقدون ان الجنس البشري وكل شيء آخر هو مكوّن في جوهره، من الإثم. ولكي يتجنبوا اللعنة اتبعوا نظاما صارما من الصلاة والصوم والامتناع عن الكحول بما في ذلك الامتناع عن أكل اللحوم. كما كان يدعون ايضا الى العزوبية دون الزواج.

وفكرت ميغ في انه لا بد ان الغالبية من اتباع هذا الدين لا يتبعون أوامر دينهم تماما، وإلا لانقطع نسلهم منذ أجيال، ومن وجهة نظر العصر، يبدو دينهم غريبا اكثر منه خطرا، وبعد فإن الجيوش قد ارسلت لتمحوهم عن وجه الأرض، تماما كما تضرب الذباب بمطرقة ثقيلة.

ادركت ان جيروم قد وصل حتى قبل ان يسقط ظله على صفحة الكتاب التي كانت تقرأها. فقد انتبهت الى حركة حول الطاولات المجاورة، ورفع النساء لحواجبهن وتمتماتهن وهي يدرن رؤوسهن لكي ينظرن إليه أثناء عبوره الباحة.

قال لها بالفرنسية:«مساء الخير.» وقد ارتدى بنطالاً عاجي اللون وقميصا كتسنائيا مفتوحا عند العنق. وكانت غرته السوداء الكثيفة العاصية فوق جبينه قد نظمت نوعا ما.

عندما ردت عليه التحية، خطر لها ان غرّته المتمردة تلك قد تكون هي مفتاح اللغز في شخصيته. وان تحت

هذه الملابس الغالية، والسلوك المتمدن، تكمن نزعة الى العنف تنتظر لحظة الانفجار. وتساءلت عما إذا كان فناناً، فلا بد انه ناجح جدا. إذ ان ساعته وسيارته، وكل شيء يتعلق به يدل على الثراء.

لم يبد عليه انه لاحظ شيئا من الاهتمام الذي أثاره قدومه، وهو يجذب كرسيا ليجلس عليه، مشيرا الى النادل لكي يحضر له الشراب. وأعجبها منه عدم انتباهه الى مقدار جاذبيته. فقد اعترفت ميغ، بينها وبين نفسها، انها، لأول مرة في حياتها، تواجه رجلا تطغى الجاذبية المتدفقة منه على أي وسامة او جمال مظهر. ولم تعرف كيف تتعامل مع ذلك.

قال:«إنك تبدين في منتهي الجد، ارجو ان لا تكون ثمة صدمة ما زالت في نفسك مما سبق وحدث.»

هزت رأسها نفيا وهي تقول باشمئزاز:«كلا، وإنما افكر في ظلم الانسان للإنسان.»

ألقى نظرة على الكتاب الذي في يدها وهو يقول:«انها افكار حزينة بالنسبة لأمسية مثل هذه.» ورفع حاجبيه وهو يقرأ عنوان الكتاب:«بلاد الكاثار. هل تهتمين بقراءة مثل هذه المواضيع؟»

قالت وهي ترفع ذقنها متحدية:«ولمَ لا؟» وتساءلت باستياء اتراه يظنها غبية لمجرد تركها لقضية سيارتها تحت سلطته؟

أخذ يتأملها فترة طويلة وعلى وجهه تعبير غامض. وما لبث ان هز كتفيه قائلا:«حسب قولك، لِمَ لا؟ انك مخلوقة مليئة بالمفاجآت، يا مارغريت.»

قالت:«ليس انا فقط. ان كلامنا لا يعرف شيئاً عن الآخر.»
قال برقة:«هذه الليلة، إذن ستكون رحلة استكشافية.»
ربما كان يسيطر على السيدة مونتكورت فكرة تأثيره على النساء، فأصبح مطمئنا الى قدرته على إغرائها بسهولة؟ وربما يعتبر ذلك ثمناً لمساعدته تلك لها. حسنا، ليس عليه ان يتوقع شيئاً... كانت عابسة وهي تفكر في ذلك بصمت.
فكرت ميغ في ان مارغوت كانت، بلا شك، ستستمتع بهذه اللعبة جدا لو كانت مكانها، فتتقدم، وتتأخر، وتقدم وعوداً كاذبة، وفي النهاية، إما ان تبتعد نهائيا وإما ان تبقى... حسبما تشاء.
ربما لا ينتج أي ضرر فيما لو زاولت هي هذه اللعبة لهذه الليلة فقط، او ربما تتعلم بعض قواعدها. وفكرت في انه ربما هذه هي فرصتها لكي تتعلم كيف تعيش ضمن الخطر!
وفرغ جيروم مونتكورت من احتساء شرابه، ثم نظر الى كأسها الفارغ وسألها:«هل نذهب، ارجو ان تكون مغامراتك هذا النهار قد منحتك شيئاً من الشهية.»
اشرق وجهها بالابتسام وقالت وهي تدفع كرسيها الى الخلف ثم تقف منتصبة:«انها اولى تجاربي مع الطعام الفرنسي، ولا يمكنني الانتظار اكثر من ذلك.»
كانت الشمس قد مالت الى المغيب، بلونها القرمزي الأخاذ، عندما قاد السيارة خارجا من الوادي.
مالت ميغ برأسها نحو الشمس وهي تهتف:«ما اروع هذا، سيكون نهار غد رائعا.»

ابتسم وقال يغيظها:«هل ستحدث عواصف اخرى؟»
هزت كتفيها قائلة:«ارجو ان لا يحدث ذلك.»
قال:«لقد كان حظك سيئاً، ذلك ان العواصف، عادة، تحدث الليالي. وأحيانا، اثناء قيادتك للسيارة، ترين البرق يتلاعب حول التلال مشبها اضواء مسرح صامت. وفجأة تقتلع شجرة من جذورها، ليجن بعد ذلك الكون، كما سبق ورأيت بنفسك.»
قالت بأسى:«لقد رأيت. أليس عندك شيء افضل من ذلك يمكن للسائح ان يراه؟»
اجاب:«ربما سيناسبك الفجر اكثر، حيث ذلك الخط من الضوء النقي في السماء الذي يفرق النجوم، قبل ان ترتفع الشمس فوق الأفق.»
ألقت عليه نظرة جانبية وهي تقول:«انك تتكلم كشاعر. هل انت كذلك؟»
ضحك قائلا:«كلا مع الاسف، ان عملي بعيد عن الشاعرية، مع ان والدي كان يهتم كثيراً بأشعار هذه المنطقة... أغاني التروبدور وما يليها.»
سألته:«هل كان يكتبها بنفسه؟»
هز رأسه نفياً وهو يقول:«كان أبي يعيش في ارض تعود الى عائلته، يغرس كرومه بنفسه. كان يعشق الحياة البسيطة.»
قالت:«هذه الحياة تتراءى لي جميلة حقاً.»
قال:«اظنها كانت قاسية، في إحدى الفترات، ذلك ان الحياة البسيطة تصبح معقدة احيانا، وفي النهاية، عاد أبي الى باريس.»

سألته:«وهل تعيش انت ايضاً تلك الحياة البسيطة؟»
اجاب باسماً:«حسب استطاعتي، ولكنني مهندس في اغلب الاحيان. وقد اعتدت العمل في باريس، ولكن اعمالنا تمتد وتتشعب في انحاء البلاد، وأنا حاليا مستقر في تولوز.»
قالت:«أي أنك عدت الى جذورك؟»
اجاب:«تماما. وأنا اعمل بصورة رئيسية، مستشاراً في حفظ وترميم المباني القديمة... أي البيوت التي كانت قد اهملت في غمرة الانجراف الكاسح من الأرياف الى المدن، والتي عادت الآن مطلوبة.»
قالت مفكرة:«اظن ان إصلاح نسج التاريخ هذا فيه من الشاعرية والخيال بقدر ما في الشعر نفسه.»
ازدادت ابتسامته اتساعا وهو يقول:«انني، في الواقع، اتفق معك في هذا، ولكنني لا اقول ذلك لعملائي وإلا فهم يتوقعون مني ان اعمل لأجل الحب وليس لأجل النقود.»
سألته:«هل تعمل، حالياً، في مشروع ما؟»
اجاب:«تقريبا. وأنا الآن في إجازة رسمية.» ولما لم يبد عليه رغبة في التحدث في هذا الموضوع، سكتت.
وسألته بعد برهة:«هل تفتقد الحياة في باريس؟»
هزّ رأسه نفيا وهو يقول:«انني لا افتقد أي مدينة. لقد اختارت اسرتي الحياة هناك ما عداي.»
عادت تسأله:«هل اسرتك اصلاً من هذه المنطقة من البلاد؟»
اجاب:«نعم. ان جذورنا دوما كانت هنا، وفي الواقع، كان جدي هو اول من انتقل من هنا كليا.»

سألته:«ألم تخطر له العودة قط؟»
هزّ كتفيه قائلا:«لقد كانت جدتي باريسية لا تحب الحياة في الريف.»
قالت:«ولكنك انت عدت.»
اجاب:«نعم، عدت الى حيث انتمي ويسعد قلبي.»
فكرت ميغ بشيء من الكآبة في انه لم يحدث أن كانت متأكدة يوما مما تريد، كما يبدو عليه هو. فهي ما زالت تعيش في آخر منزل لأبيها، ولكنه قد تحوّل كليا حسب ذوق زوجة أبيها ايريس مما جعل ميغ تشعر، في أغلب الاحيان، وكأنها غريبة. وهي قد اصبحت الآن دون عمل تعول به نفسها. وهكذا شعرت بنفسها هائمة في العالم. وربما حان الوقت لكي تجد لنفسها مستقرا تمدّ فيه جذورها.
ابتدأت الان تتساءل عن المكان الذي كانا ذاهبين إليه. فقد كانت تظن انه سيأخذها الى مطعم محلي لا تكون فيه الكهرباء مقطوعة، ولكن سيارته الستروان كانت تسير في سرعة فائقة، وتمنت لو كانت لاحظت إشارات السير، لترى، على الخارطة التي تحملها معها في حقيبتها، وجهة سيرهما هذه.
وكأنما لاحظ شرودها، فسألها:«اتحبين ان تسمعي شيئا من الموسيقى؟»
اجابت بسرعة:«كلا. انني افضل متابعة المناظر والحديث، ولكن إذا رأيتني أكثر عليك بالاسئلة، نبهني الى ذلك.»
رمقها بنظرة سريعة، ثم عاد ينظر الى الطريق وهو

www.rewity.com RAYAHEEN

يقول:«لا أظنك توجهين إليّ اسئلة لا احب الإجابة عنها. هل الأمر كذلك بالنسبة إليّ، يا مارغاريت؟»
اجابت:«طبعاً، فليس لديّ ما أخفيه.»
قال هازلاً:«امرأة دون أسرار؟ ذلك شيء غير معقول.»
ضحكت وهي تقول:«كلا، ان حياتي غير معقدة، بل ومملة ايضاً.» وفكرت في أن حياتها كانت كذلك في الحقيقة.
قال:«ومع ذلك، اراك تسافرين بمفردك، وتهتمين بهذه المنطقة اكثر مما يفعل السياح عادة، وهذا لا يدل على انعدام في النشاط. اظنك تخفين شيئاً في اعماقك، يا مارغريت.»
كان في صوته نبرة جعلت قلبها يقفز من موضعه. اجابت بشيء من الانفعال:«ان ذلك يقال عن كل شخص يولي إجازته اهتماما غير عادي.»
سألها بعد صمت قصير:«اخبريني. لماذا تلكأت بالجواب حين سألتك ان تتعشي معي؟ هل هناك صديق في انكلترا، قد يعقد الأمور؟»
فكرت ميغ ساخرة في تيم هانزبي، ثم قالت:«لا يوجد احد.»
قال بلهجة يبدو فيها الشك:«لا اصدق انه لا يوجد ثمة شخص تهتمين به.»
هزت كتفيها وقد منعها الكبرياء من الاعتراف بأنها حتى الآن، ما زالت تحتل مكاناً غير ملحوظ على الرف. وان هنالك شخصين فقط يهمانها حقاً، هما صاحب المكتبة الذي تقاعد الآن، وامرأة مسنة كانت لها بمثابة الأم ومنحتها من الحنان والعزاء ما عجز

والدها إزاء حيرته وألمه لفقد زوجته الشابة، عن تقديمه إليها، وأنها هنا الآن، بسبب هذين الشخصين. ازدردت بريقها. فليس لديها الكثير لتتحدث عنه، في سنيها العشرين هذه، ثم ان هذا ليس الوقت المناسب للشعور بالحزن لأجل نفسها. ولكن، ما شأنه بذلك في ما لو لم تشأ هي ان تكون صريحة؟ ثم هي تسعى لأن تبدو مثيرة للاهتمام في الوقت الذي عندها فيه ما تخفيه؟
قالت متحدية:«وهل هذا يغيّر من الامر شيئاً؟ ان دعوة الى العشاء لا تستلزم موعظة في الوفاء.» والتقطت انفاسها وهي تتابع:«ثم انك انت ايضا قد تكون متزوجا.»
رد عليها قائلاً:«وهل لكوني متزوجاً أي اهمية؟»
شعرت بأنه يراوغ في كلامه، مما جعل قلبها ينتفض هلعا بشكل غير معقول. اجابته:«اظن الامر مهما جداً بالنسبة الى زوجتك.»
قال:«من حسن الحظ، إذن، ان لا زوجة لي بعد.»
كانت لهجته مزيجاً من السخرية وشيئاً غامضاً لم تدرك كنهه.
غمغمت تقول:«هذا من حسن حظها هي، على كل حال.» وشعرت، بالاشمئزاز من نفسها لهذا الشعور بالارتياح الذي اكتنفها والذي جعلها سيئة الخلق لتقول شيئاً كهذا.
قال بلهجة تحوي شيئاً من اللوم:«ليس هذا من اللطف في شيء، الا تظنين انني سأكون زوجاً جيداً؟»

اجابت باقتضاب:«لا يمكنني اعطاء رأياً صحيحاً في هذه المدة القصيرة من تعارفنا.» كانت تعلم انه يضحك منها رغم الجد الذي يبدو على ملامحه والذي يقرب من العبوس.
قال:«ولكن لا شك ان عندك مثلاً اعلى في خيالك، ما هي الصفات التي تريدينها فيه؟ هل تتطلبين فيه الأمانة الزوجية؟»
اجابت ميغ وهي تعبث بشريط حقيبة يدها:«اريده ان يحبني، ويحبني انا فقط، كما أحبه، وأظن هذا يسهّل امور كثيرة.»
سادت فترة صمت قال بعدها:«هذا يكتسح كل شيء بالتأكيد. ولكن إذا حدث بالرغم من هذا الحب، وتدخلت امرأة اخرى تريد ان تسلبك مثلك الاعلى هذا، ما الذي ستفعلينه، عند ذاك؟ هل تضحين بنفسك؟ هل تطلقين سبيله ليذهب إليها؟»
اجابت بعنف:«كلا. سأكافح للاحتفاظ به بكل ما املك.»
قال بصوت منخفض:«هل ستكونين عديمة الرحمة؟ هل ستستعملين السلاح؟»
اجابت مترددة:«طبعا. ولكن لماذا توجّه إليّ كل هذه الاسئلة؟»
قال بلطف:«لأنني اريد ان اعرف يا صغيرتي. فهذه المعرفة هي جزء من رحلة الاكتشاف التي تحدثت عنها، وقد وجدت انك ستدافعين عن حبك كالنمرة.»
مرة اخرى، ظهرت تلك النبرة الغامضة في صوته. ووجدت ميغ نفسها ترتجف.

لاحظ ذلك وسألها:«هل تشعرين بالبرد؟»
قالت وهي تتصنع ابتسامة:«اوه، كلا، ربما انا جائعة.»
وتذكرت الغداء الذي سبق ان اشترته للنزهة، وسحق مع السيارة.
قال:«لقد صبرت وقتاً كافياً وآن لك ان تأكلي.»
واستدار بالسيارة فجأة خارجا عن الطريق العام ليدخل في طريق يقود الى اسفل التل. واستندت ميغ بيديها عندما تأرجحت السيارة ثم قفزت فوق الاحجار والأخاديد العميقة.
شهقت قائلة:«هل يوجد مطعم في هذا المكان؟ ارجو ان يكون هناك طريق آخر لنخرج منه؟»
اجاب:«انه ليس مطعما.» كان امامهما مجموعة من مبان سابحة في الشفق الوردي للشمس الغاربة. وكانّ ثمة دخان ينبعث من مدخنة من إحدى تلك المباني، ليعلو متلويا في الهواء الساكن.
قالت:«اين نحن إذن؟» لقد بدا وكأنهما في متاهة. وشعرت بالعزلة تكتنفهما إذ لم تر أي سيارة هناك. ولا شك ان هذا المكان غير مأهول.
قال وقد عادت السخرية الى صوته:«هذا هو منزلي. منزل العائلة الذي حدثتك عنه.» سكت برهة ثم عاد يقول:«لقد صممت، يا جميلتي على تناول الطعام في منزلي هذه الليلة، مستمتعين باستكشافنا المتبادل وحدنا، وآمل ان يوافقك هذا.»

الفصل الرابع

ساد صمتٌ مزعج في السيارة، وتصلّب جسد ميغ وجف فمها. تساءلت غير مصدقة، عما جعلها تتصرف بكل تلك الحماقة. وعذبها هذا الخاطر. لماذا لم تستمع الى ما داخلها من ريبة؟ ولماذا وثقت به الى هذا الحد؟ هل لأنه اول رجل جذاب يهتم بها؟ ولامت نفسها بشدة، ولكن ما فائدة ذلك وقد أصبحت هنا الآن في شرك مخيف؟

لقد قال لها ان هذا هو بيته الذي يبعد اميالاً من اي مكان آخر... بينما هي لا تعرف حتى هذا المكان الآخر أين يكون.

لقد قالت العنكبوت للذبابة (هل لك ان تتفضلي الى غرفة جلوسي؟) ولقد فعلت هي ذلك بالضبط فتحقق الكابوس. وتقبضت يديها في حجرها.

قالت بصوت حاولت ان تحتفظ به هادئاً متزناً:«يبدو انني فقدت شهيتي. هل لك ان تعيدني الى الفندق من فضلك؟»

ساد صمت قصير هز جيروم مونتكورت بعده كتفيه وقد لمعت عيناه القاتمتان بالدعابة وكأنه قد علم بالضبط ما يخفي هدؤها هذا من افكار ومخاوف.

وقال برصانة:«طبعاً إذا كان هذا ما تفعلين. ولكن بيرث ستشعر بالمهانة وخيبة الأمل إذا انت لم تتذوقي طعامها.»

قالت تسأله:«بيرث؟ من هي هذه؟»

أجاب:«انها مدبرة المنزل، وهي تعيش هنا مع زوجها اوكتافيان فكانا يعتنيان بالمنزل والكروم منذ رحيل أبي. اما الآن، فهما يعتنيان بي.» وأشار الى المنزل قائلاً:«انظري.»

كان ثمة رجل قد خرج من الباب الأمامي ووقف يراقبهما بفضول وقد وضع يديه على خاصرتيه. كان معتدل الطول ممتلىء الجسم. وجهه اسمر مغضن كقشرة جوزة، وقد وضع على شعره الأشيب قلنسوة. وله ساقان مقوستان وشاربان متهدلان.

شعرت ميغ بالاطمئنان يعود إليها بعدما رأت انه لا يشبه اولئك الاشرار الذين يشتركون في اعمال الخطف والاعتداء.

قال جيروم برقة:«هل ستجازفين بتناول الطعام على مائدتي الآن، ام تفضلين ان نأكل هنا في السيارة؟

اعترفت بينها وبين نفسها، بسخافة هذا الوضع، بينما كانت تنزل من السيارة بجانبه نحو المنزل وهي تقول بكبرياء:«كله سواء، انما كان يجب عليك ان تخبرني مسبقاً اننا قادمان الى هنا.»

اجاب:«ربما كانت تعوزني الجرأة خوفاً من ان ترفضي.» وازداد صوته رقة وهو يستطرد قائلاً:«انني في غاية الشوق الى رؤيتك هذه الليلة.»

بدا لها هذا الجواب معقولاً، وحدثتها نفسها انه معقول الى درجة ربما كان اتخذه عادة في تجارب سابقة، وابتدأ قلبها يخفق بعنف. ولكنها تذكرت انه من

المؤكد انها ليست اول امرأة تشعر بنبضها يتسارع، وبحرارتها ترتفع لدى رؤيتها الابتسامة في عينيه.
لقد كانت فعلا، حمقاء إذ ظنت انه بحاجة للجوء الى العنف او استعمال أي شيء من الاكراه. ذلك ان تصرفاته اكثر حذقا ولباقة من كل هذا وإن كانت خطورتها واحدة. فهو ما زال العنكبوت وما زالت هي الذبابة، وعليها ألا تنسى ذلك. ولكن نسيج العنكبوت هذا كان ممتعا.
كان المنزل مؤلفا من طابقين، والسطح مغطى بالقرميد الاحمر. والجدران من الحجارة المصبوغة باللون الاصفر الفاتح، بينما النوافذ زيتية اللون. وثمة شبكة فوق الممر المؤدي الى الباب قد عرشت فوقها الورود. دخلا من الباب مباشرة الى الغرفة الرئيسية في المنزل، وبدا السقف منخفضا ذات دعائم قاتمة، والأرض مرصوفة، وفي احدى الجوانب، مدفأة كبيرة خالية، وعلى جانبي الغرفة قامت اريكتان متقابلتان من الجلد. ومقابل المدخل باب زجاجي يقود الى باحة تتألق بأحواض الزهور، بينما في الزاوية قام سلم حلزوني يقود الى الطابق الاعلى.
أما في الطرف الآخر من الغرفة، فقد وضعت مائدة رائعة معدة لشخصين، وحولها ستة مقاعد عالية الظهر منجدة بالجلد، بالإضافة الى مكتبة ممتلئة بالكتب ومكتب مكدسة عليه الاوراق. لم يكن في القاعة اثاث آخر.
كان الانطباع العام، كما بدا لميغ وهي تنظر حولها،

يوحي بجو من الرجولة الأخاذة الى لمسات قليلة رقيقة.
قالت تسأله وهي ترى مواد بناء وألواحاً خشبية موضوعة في زاوية من الباحة:«هل هذا هو المشروع الذي تحدثت عنه؟»
أومأ برأسه مجيباً:«إنه واحد منها. لقد فكرت في تمديد جانب الباحة خلف المنزل، مستغلا لذلك احد مخازن الغلال محولا إياه الي مكان أعمل فيه وأيضا الى غرف للضيوف. ولكنني غيرت رأيي الان، إذ ان اقتطاعي المساحة تلك التي انا بحاجة إليها ستفسد منظر البناء.»
قالت بلهجة حاولت ان تجعلها عفوية:«هل تستقبل ضيوفا بكثرة؟»
اجاب:«ليس حالياً، لأنني كنت مشغولاً جداً.» وسكت لحظة، ثم تابع يقول:«كان اول ما قمت به بعد عودتي الى هنا، هو تغيير طراز الطابق الأعلى. لقد اردت ان ابدأ من المطبخ...» وأشار الى قنطرة حيث لمحت ميغ منضدة وموقد قديم الطراز، تابع:«ولكن بيرث لم تسمح بذلك.»
عبقت في انف ميغ رائحة شهية لطعام بالثوم تنبعث من المطبخ. وقالت:«اظن ان اكثر الطباخين يفضلون المواقد المألوفة.»
كان اوكتافيان قد سبقهما في الدخول الى المنزل، ليظهر الآن في باب المطبخ عابساً بوقار، بينما زوجته تقف خلفه وتحدق من فوق كتفه، بدت اطول من زوجها،

وترتدي ثوباً قطنياً منقوشاً بالزهور. اما شعرها الذي خطه الشيب فقد كان معقوداً فوق رأسها. وكانت تنظر الى ميغ وقد بان الشك في عينيها.

سمعت ميغ اوكتافيان يتمتم بشيء، مثل:(امرأة انكليزية اخرى) ولكن ربما كانت مخطئة في فهم لهجته الخشنة تلك. وعلى كل حال، لم يكن من شأنها الاهتمام بجنسيات النساء اللواتي يحضرهن جيروم الى منزله، لم تكن تشك في إحضاره نساء الى هنا مهما كان مقدار ازدحام وقته بالعمل. وربما كان، بالعكس من مستخدميه، يميل الى الاجنبيات.

قال لها جيروم:«سيكون الطعام جاهزاً بعد لحظات. اتريدين ان تشاهدي بقية غرف المنزل؟»

اجابت وهي تبتسم في الوجهين الجافين عند باب المطبخ:«نعم، سيكون هذا رائعاً.» وأضافت بالفرنسية:«ان رائحة الطعام شهية جداً.»

لكن الملامح الجامدة لم تتغير. واستدارا، داخلين الى مكان عملهما. لم يكن ينبيء عن وجودهما، اثناء صعود ميغ السلم خلف جيروم، سوى قرقعة الأواني. وكانت بسطة الدرج ضيقة محاطة بخزانات خشبية رائعة الجمال مبنية في الجدار.

قال جيروم:«كانت هذه من قبل، غرفاً صغيرة مفتوحة الواحدة على الأخرى، وهي الآن مخزن وبجانبه حمام جديد.» وفتح باباً في الجهة الاخرى من بسط الدرج وهو يتابع:«اما البقية فهي خاصتي.»

انتبهت ميغ وهي تدخل الغرفة التي تحتل ثلثي الطابق

الأعلى تقريباً، الى ان ليس ثمة إضافات غير ضرورية، ويبدو الجدار الخلفي بأكمله من الزجاج، بحيث يظهر منظر الوادي المشجر والمنحدرات الشاهقة خلفه.

في الطرف الأقصى من الغرفة، كانت الكوات في السقف تضاعف من الإضاءة، ومنضدة يعمل عليها جيروم قد غطى سطحها الفسيح بالتخطيطات والرسوم.

بالإضافة الى ذلك هناك مكتبة مستطيلة تحوي ادراجاً عديدة، وسرير عريض مصنوع من الخشب المحفور المزخرف عند الرأس ومغطى بغطاء مزخرف من اللونين الاسود والذهبي.

تراءى لميغ أن شيئاً من البربرية فيها، مما يوحي بنوع من التصريح الشخصي برسالة فضلت ان تتجاهلها. وبدلاً من ذلك، نقلت ناظريها الى ذلك المنظر الخارجي ذي الجمال الصاعق وأخذت تتأمله قائلة:«يا للروعة! انني ادرك الآن السبب في انك جعلت الجدار كله نافذة واحدة.»

تقدم جيروم ليقف بجانبها وهو يشير الى الصخور الشاهقة التي تكاد تلامس السماء قائلاً:«هنالك فائدة اخرى لذلك، فهي في اتجاه الشرق تقريباً. ولهذا بإمكاني ان استمتع بمنظر الفجر وأنا في سريري.» ثم تابع:«وإذا كان معي من أحب، فهذا منبع جيد للإلهام.»

غضبت ميغ من نفسها وهي تشعر بالصورة التي آثارتها كلماته هذه في نفسها وبعثت التوهج الى وجهها.

www.rewity.com RAYAHEEN

رفع جيروم يده ليلامس وجنتها برقة وهو يتمتم شيئاً بالفرنسية.
قالت ميغ متلعثمة:«انني... انني لا افهم ما تقول.» وأخذت إنفاسها تتلاحق ويده تلامس شحمة أذنها بخفة منحدرة الى عنقها، لتتحول الى رقبتها تحت شعرها الكث. وعلمت ان عليها ان توقف كل هذه الحركات حالا. ولكن شيئا ما سمرها في مكانها دون حراك.
قال:«انه بيت من شعر التروبادور الغنائي، يا جميلتي، وهي اغنية تدعى اغنية الفجر، وفيها يرثي الشاعر ليلته مع حبيبته التي مرت سريعا.» ومال نحوها وهو يهمس بكلمات الاغنية تلك مترجمة:«آه، يا ربي، آه، يا ربي، لقد أقبل الفجر سريعا.»
اشتد توهج وجه ميغ. وحاولت ان تتحرك، ان تبتعد... ولكنها وجدت نفسها دون ان تشعر، بين ذراعيه.
انحدر بنظراته يحدق في اعماق عينيها فبادلته النظرات بعينين رائعتين، وهي تفكر ان عليها ان تقاوم الآن، وفي هذه اللحظة، مهما كانت درجة تأثيره عليها.
سمع صوت بيرث من أسفل السلم ينادي:«العشاء جاهز يا سيد جيروم.» وبهذا توارى التجاذب الذي لفهما.
ظهرت على شفتي جيروم ابتسامة ملتوية وهو يقول:«ثمة شهية واحدة في نفس الوقت.» وتناول يدها يطبع على راحتها قبلة سريعة بعثت الرجفة في جسدها، شاعرة بالخجل في الوقت نفسه. اخذت ترتجف في اعماقها،

وشعرت بما يشبه الدوار. وكانت ساقاها ضعيفتين وهي تنزل السلم الملتوي.
عندما تعثرت قدمها مد يده يسندها قائلاً وفي صوته رنة ضاحكة:«حاذري.» فقد كان يعلم تماما ما الذي احدثه في نفسها من اضطراب. لقد كان رجلاً فاتناً ذا خبرة هائلة، بينما هي عديمة الخبرة كليا.
حدثتها نفسها بأنه لا بد أنه شعر بعدم خبرتها هذه، فظنها قطعة من الكعك سرعان ما يلتهمها... وأسندت قبضتها على حاجز السلم، عليها ان تتوقف عن الاستسلام الى مشاعرها نحوه. فهي لن تتحمل المزيد من الانحدار وازدردت ريقها، وشعرت انها بحاجة حقا الى الطعام إذ انها لم تتناول شيئا منذ وقت طويل جدا... منذ وجبة الفطور.
ان تناول وجبة طعام حسنة، ستجدد قواها وتمنحها القدرة على التفكير في كيفية التعامل مع هذا الوضع المزري.
وضعت بيرث وعاء الحساء الذي يتصاعد منه البخار على طاولة المائدة، وبجانبه طبق الخبز. وأشارت برأسها الى ميغ وجيروم للجلوس الى المائدة، ثم ابتدأت تغرف من الحساء الدسم لتضعه في طبقيهما، مع الاكثار منه في طبق ميغ.
فكرت ميغ، ان عطف هذه المرأة لم يظهر الا في سكب الطعام، لتشهد، بعد اول ملعقة من هذا الحساء وضعتها في فمها، بأن هذا الطعام لا عيب فيه، لقد كان الحساء لذيذا وذا نكهة عادية لم تستطع ميغ معرفة كنهها.

عندما سألت جيروم عن ذلك، اجاب:«انه حساء الثوم. هل أعجبك؟»
اجابت:«انه رائع. اخبر بيرث بهذا من فضلك، لأنني لا اظنها تفهم كلامي ان انا تحدثت إليها.»
قال بشيء من الاشمئزاز:«بل هي تفهم حديثك. ان بيرث وأوكتافيان قد امضيا سنين طويلة في خدمة اسرتنا مما منحهما وضعا ذا امتياز خاص فيهما. وأحياناً، هي وزوجها يستغلان هذا. فاعذريهما.»
خطر في بال ميغ انها، هي ايضا يمكن ان تستغل هذا الوضع، محتجة بعدم موافقة بيرث على وجودها هنا، لكي تنسحب بانتظام في الوقت المناسب.
رفعت اطباق الحساء لتوضع مكانها اطباق اللحم الدسمة مع سلطة الخضر بزيت الزيتون.
قالت ميغ متسائلة:«ظننتك تحدثت عن نوع من الطعام يسمى كوسوليه؟»
ابتسم لها قائلاً:«هذا سيأتي حالاً.»
بدأت ميغ تشعر بأنها لن تستطيع ان تتناول المزيد من الطعام في فمها عندما وصلت الكاسوليه، مسكوبة في طبق واسع، وهي عبارة عن خليط من الفاصوليا واللحم والسجق والثوم.
تناولت طبق كامل من هذا الطعام مع الخبز، رافضة طبقا آخر بأسف. بعد ذلك احضرت بيرث الحلوى، وهي عبارة عن شرائح التفاح المطهوة على نار خفيفة.
قالت ميغ اخيرا وهي تضع الشوكة من يدها:«لا اظنني، بعد الذي تناولته استطيع الحراك.»

ضحك قائلاً:«ولكنك ستتحركين، كل ما في الأمر انك غير متمرنة على اكل كميات كبيرة.»
قالت:«عند انتهاء إقامتي في فرنسا سأكون بالبرميل.»
قال:«هذا يعتمد على مدة اقامتك.»
انه بالطبع يظنها، بأنها تقوم بإجازة تقليدية هنا. وتساءلت عما سيقوله لو انها اطلعته على انها ستبقى هنا شهراً كاملا. ولكنها لم تكن تريد ان تخبره بذلك.
جاءت بيرث بالقهوة لتضعها على المائدة، ثم تنسحب من المكان، ونظرت إليها ميغ وقد اختلطت في نفسها المشاعر.
قال جيروم الذي ادرك من ملامحها، ما يدور في ذهنها، بدقة أثارت غيظها:«إنها، وزوجها يسكنان في مسكن يقوم في الناحية الاخرى من المطبخ ولن يسمعاك إلا إذا صرخت بصوت مرتفع.»
قالت باقتضاب:«اشكرك. ان هذا يبعث على الاطمئنان.»
قال:«ولكن ربما انت لا تريدين ان تصرخي.»
تضرج وجه ميغ بالاحمرار لدى سماعها هذه الكلمات بما تتضمنه من معنى. وخطر ببالها انه لو كانت مارغوت هي الموجودة هنا بدلاً منها، لما تضرج وجهها كالحمقاء، بل كانت ستسارع بجواب فكه، مثير، إذ انها تكون قد خططت مسبقاً لنهاية هذا المساء. ولكنها ليست نفس الخطة التي توصلت إليها ميغ...
نهض عن كرسيه واستدار حول المائدة متوجهاً

نحوها وفي حركة رشيقة، وجدت ميغ نفسها ترفع عن الكرسي بين ذراعيه، ثم تنقل عبر القاعة، الى احدى الأريكتين.

اخذت ميغ تجاهد للتخلص منه وهي تضربه على صدره بقبضتيها وتقول لاهثة:«دعني... اتركني.»

قال وهو يجلس بجانبها ثم يأخذها بين ذراعيه يحتضنها بشدة مانعا إياها من الحركة:«حالا، عندما انهي الاختبار.»

كانت قد جرحت كبرياءه بازدراءها ذاك، وهو الان يريد معاقبتها برد الاعتبار لنفسه.

حسناً، يمكنها ان تبطل اعتقاده بأنها فريسة سهلة، ثمرة ناضجة على وشك ان تسقط في يده الممدودة.

اخيراً قال متأوها:«مارغريت... تبا، ليست هذه هي الطريقة المناسبة.» ونظر في عينيها، ثم الى تقاطيع وجهها وهو يتمتم:«انك جميلة... كل شيء فيك جميل.»

تصاعد رنين الهاتف فجأة يخترق هذا السكون الحافل بالاحاسيس، المحيط بهما. وكأنما قد دخل الغرفة شخص ما. وشدت ميغ نفسها من بين ذراعيه لتهب واقفة على قدميها وقد عاد إليها رشدها بأكمله.

عاد يمد ذراعه نحوها، ولكنها دفعته بيديها قائلة:«كلا... كلا. اذهب لتجيب على الهاتف، وإلا سمعت بيرث رنينه وجاءت لتجيب بنفسها. أليس كذلك؟»

اومأ وهو يسير متباطئا نحو المكتب حيث الهاتف ليأخذ السماعة قائلا باختصار:«مونتكورت.» ثم استمع برهة

وقد تجلى الجمود على وجهه. وما لبث ان رق صوته بشكل ملحوظ وهو يقول:«أهذا انت؟ نعم، لقد عدت هذا المساء.» واستمع لحظة، ثم استطرد بصوت منخفض:«لا استطيع الكلام الآن، يا عزيزتي، هذا مستحيل. سنتحدث غداً. نعم، هذا وعد مني.»

شعرت ميغ بأن تلك الرقة في صوته، تلسعها كالسياط. لقد كانت منذ لحظة بين ذراعيه. وشعرت باشمئزاز من نفسها وهي ترى انها كانت على وشك ان تفقد كل احترام لنفسها مع فقدانها ضبط النفس ذاك. وها هي تسمعه يتحدث الى امرأة اخرى... الى امرأة يبدو واضحا انه على علاقة حميمة بها... امرأة كان على وشك خيانتها، معها.

لقد تأكدت الآن بوضوح تام، من قلة ما تعرفه عنه، كما اتضح لها ضعف مركزها في حياته والذي كان كسحابة عابرة. انه درس مؤلم حقا، ولكنه كان ضروريا لكي تتعلم.

كان جيروم يقول:«نعم، قريباً جداً. لقد اعطيتك كلمتي. الى اللقاء.»

وعندما سمعته يضع السماعة مكانها،استدارت إليه تقول بصوت خاولت جهدها ان يبدو هادئا:«يمكنك ان تعود فتطلبها حالا، لأنني خارجة الآن. هل هنالك سيارة اجرة يمكنني طلبها هاتفيا؟»

تقدم ووقف خلفها آخذاً إياها بين ذراعيه بشدة، وهو يقول بهدوء:«انني آسف. لم اكن متوقعاً أي اتصال هاتفي هذا المساء، إذ لم يكن ثمة من يعلم بعودتي.»

فرت بمرارة، وهي تتملص من بين ذراعيه، في ظنه بأن هذا العذر يغير من الواقع شيئا. ربما كانت تلك الفتاة لا تستطيع الانتظار. قالت له برقة:«من الواضح ان جاذبيتك لا تقاوم. سأتركك تتابع حياتك المليئة، بينما استمتع انا ببقية إجازتي.»

امسك جيروم ذراعها يديرها نحوه وهو يقول:«انها ليست كما تظنين. انها مجرد صديقة، وهذا كل شيء.»

هزت ميغ رأسها قائلة وهي تتجنب نظراته العنيفة:«ليس هذا في الحقيقة موضع اهتمام مني. لقد امضيت امسية سعيدة، ولكنها انتهت الآن، وعليّ ان اعود الى الفندق، إذ علي ان اباشر نشاطي مبكرة.»

قال بصوت اجش:«لا تذهبي إذن. ابقي هنا معي يا مارغريت، وراقبي بزوغ الفجر معي.»

خلصت نفسها من قبضته وهي تقول بحزم:«كلا. لا... لا استطيع.»

ألح عليها بقوله:«لمَ لا، ما دمنا نحن الاثنين نريد ذلك؟»

اجابت ببطء وهيَ تختار كلماتها بعناية:«لأنك ستكون عقدة بالنسبة إليّ. انا لست بحاجة إليها.» وحاولت ان تبتسم وهي تتابع قائلة:«الحياة البسيطة، تذكر ما سبق وتحدثنا به.»

هز رأسه لاويا شفتيه وهو يقول:«أوه، كلا يا مارغريت. ليس ثمة شيء بسيط معك يا جميلتي.» واشتد صوته وهو يتابع:«ولماذا وافقت على تناول العشاء معي هذا المساء، إذن؟»

نظرت الى الارض وهي تقول:«كان ذلك خطأ مني... لم اكن اريد ان ابقى بمفردي هذا المساء. لقد كان يوما شاقا اخرجني عن توازني نوعا ما، مما جعلني اتصرف بطريقة منافية لطبيعتي.»

اطلق ضحكة مفاجئة كان لها صدى بشع في هذه الغرفة التي تسودها الظلام، ثم قال:«على العكس اظنني عرفتك تماما. إذ لولا تلك المقاطعة الهاتفية التي جاءت في وقت غير ملائم، لكنت الان معي يا جميلتي، وأنت تعرفين هذا، كما اعرفه انا ايضا، ولكن إذهبي إذا كنت تودين ذلك. وأرجو المعذرة إذ كنت لن ارافقك شخصيا.» ومشى نحو المطبخ وهو ينادي بصوت عال:«اوكتافيان.»

بعد برهة، ظهر الرجل وهو يمسح فمه بظاهر يده. وألقى على ميغ نظرة عدائية من تحت حاجبيه الكثين، ثم أدار نظرة استفهام نحو مخدومه. أخرج جيروم مفاتيح السيارة من جيبه وألقاها إليه قائلا باقتضاب:«ان الآنسة سترحل. خذها الى فندق الأوبرج دي سورس دي بيرون من فضلك.»

اومأ اوكتافيان برأسه بهدوء، ثم احضر قلنسوته ووضعها على رأسه، ثم خرج الى حيث السيارة.

تناولت ميغ حقيبتها، ثم نظرت الى جيروم قائلة وقد احدثَ الألم غصة في حلقها:«هل يمكن ان نقول... وداعا؟»

كان وجهه القاتم جامد الملامح وهو يجيب بهدوء:«بل سنقول، الى اللقاء. لأن هذه هي البداية فقط.»

وأطلق قهقهة وهو يتابع:«لأنني لم انته معك بعد.» اعتصر قلبها وهي تفكر في ان هذا ما يظنه. ومشت نحو الباب رافعة الرأس محاولة ألا تسرع في مشيتها، يتبعها صوته الساخر يقول:«نامي جيدا يا عزيزتي، هذا إذا استطعت.» ولم ينظر إليها اوكتافيان وهي تصعد الى السيارة، بل ادار المحرك صاعدا بالستروان الى الطريق. وتقبضت يدا ميغ في حجرها، فقد كانت ما تزال غير مصدقة ما حدث... او ما كانت ستسمح هي بحدوثه. وشعرت بالارتباك والتعاسة. لا بد انها تصرفت بحماقة، ولكنها عرفت الآن ما هي احاسيسها.

لكن كل هذا قد ذهب وتلاشى كما تتلاشى الاحلام بمجيء الصباح. ولكن عليها ان تكون مسرورة لخلاصها من هذا. ولكن الألم في اعماقها كان له رأي آخر. وساورها شعور عميق بالوحشة، اوشكت معه على البكاء وهي تهتف في سرها (يا لحظي الحسن، دعا الفجر يبزغ في حياتي بسرعة.)

الفصل الخامس

انهت ميغ فطورها، ثم عادت تملأ فنجانها قهوة من جديد. لقد حاسبت الفندق وأحضر لها الخادم حقيبتها الى غرفة الاستقبال. ولم يبق سوى وصول سيارتها المستأجرة لكي تتابع طريقها.

كانت اثناء تلك الليلة الطويلة القلقة، قد عزمت امرها على إلغاء قرارها السابق بالتجول في انحاء المنطقة، والذهاب بدلا من ذلك، الى هاوت اراينياك رأساً، حيث ستمضي في تلك العزلة، شهرا كما وعدت، لتعود بعد ذلك الى انكلترا بالسلامة، كما كانت ترجو.

لن تعود بعد ذلك ابدا الى انتحال شخصية مارغوت وهويتها، مرة اخرى... ابدا. وعضت شفتها وهي تفكر في ذلك.

لقد قادها هذا العمل الى طريق التعاسة، وعليها الآن ان تحاول نسيان ما جرى لها في الاربع والعشرين ساعة الاخيرة بقدر ما تستطيع، وهي تعرف مسبقا ان هذا لن يكون سهلا.

انتهت الى الابد، تلك الفتاة عديمة الخبرة التي خرجت من تولوز، لتحتل مكانها امرأة قد استيقظت رغباتها لأول مرة في حياتها، ولكنها رغبات لن يرضيها رجل مثل جيروم مونتكورت...

لقد جمعها القدر بغريب بالغ المهارة في طريق الإغواء، رجل يتنقل من امرأة الى اخرى. انها تستحق افضل

www.rewity.com RAY AHEEN

من ذلك، فهي لا تريد ان تسلب امرأة اخرى رجلها. انها ليست مارغوت.
ولكن، رغم كل هذه الافكار الايجابية المهدئة، وجدت نفسها عاجزة عن نسيان تلك الفتاة التي اتصلت هاتفيا الليلة الماضية. انها منقذتها المجهولة. وارتسمت على فمها ابتسامة ساخرة... أتراه هو السبب في انها لا تستطيع نفيها من ذهنها؟
اما بالنسبة الى جيروم مونتكورت... حسناً، لقد خرج من حياتها الآن دون أي ضرر حقيقي، الا الضرر الذي اصاب كبرياء الرجولة فيه. لقد تضايقت من تصرفه نحوها عندما تركته والذي وصل الى ما يشكل تهديداً غامضاً، ولكن ربما كان الامر كله هو انه لم يتعود الرفض من امرأة. وتنهدت وهي تفكر في انها، على كل حال، ليست من نوع النساء ذوات العلاقات العابرة فهي تبحث عن الالتزام عند الطرفين. ولكن جيروم مونتكورت ليس من هذا النوع. وليس بإمكانها ابدا ان تتأكد من شعوره نحوها مهما حاولت. وذلك بعكس اوكتافيان الذي لم ينطق بكلمة طيلة الطريق الى الفندق، مما يدل على شعوره العدائي نحوها، وذلك الى ان وصلا، ونزلت هي من السيارة، عند ذلك قال بلهجة مهينة:«انكليزية؟ عودي الى بلادك واتركينا بسلام.»
هذا ما تتمناه، العودة الى بلادها، ولكنها سبق وتعهدت بهذا الامر ولا يمكنها التراجع.
اقترب النادل منها يقول:«لقد وصلت سيارتك، يا آنسة.»

ابتسمت شاكرة، ورشفت ما تبقى من القهوة في فنجانها ثم نهضت متوجهة الى غرفة الاستقبال، لتتسمّر في مكانها وهي تحدّق ذاهلة في ذلك الذي كان واقفاً بانتظارها.
بادرها قائلا:«صباح الخير يا آنسة.» وعيناه تتأملانها بإعجاب في تنورتها الضيقة العاجية اللون والتي تتماشى مع قميصها القصير الكمين. وتابع قائلا:«اراك ارتديت ملابس ملائمة للجو الدافىء هذا النهار.»
سألته بخشونة:«ما الذي تفعله هنا؟»
اجاب وهو ينظر في ساعته:«اريد ان آخذك الى هاوت ارينياك فقد قلت انك ستزاولين نشاطك مبكرة.»
اجابت وهي تحاول ان تتمالك رباطة جأشها:«هذا صحيح، ولكن ليس معك.»
قال يذكرها:«ولكنني حذرتك الليلة الماضية من ان علاقتنا لم تنته بعد.»
قالت باقتضاب:«نعم، انا اذكر ذلك.» وخطر لها خاطر مفاجىء، فتابعت تسأله:«وكيف علمت انني ذاهبة الى هاوت ارينياك؟»
أجاب:«لأنه كان العنوان الموضوع على امتعتك.»
بهتت وهي تفكر في ان هذا صحيح، وقالت له:«انك ذكي، ولكن هذا لا يعني انني سأقبل توصيلك لي او حتى قضاء دقيقة واحدة في صحبتك. انني اريد ان اذهب الى هاوت ارينياك بنفسي.»
قال مداعبا:«ان المسافة طويلة الى هناك، حتى

ولو ذهبت بخط مستقيم كما يطير الغراب.»
اجابت:«ولكنني لن اذهب كالغراب. ان سيارتي المستأجرة ستصل في أي لحظة.»
هز جيروم رأسه قائلاً:«كلا، مع الاسف، فقد الغيت بنفسي ارسال السيارة تلك إليك.»
صرخت ميغ:«ماذا فعلت؟» وانتبهت الى الرؤوس تلتفت نحوهما من انحاء المكان، بينما لمعت عينا موظفة الاستقبال من وراد مكتبها.
اجاب:«لقد اخبرتهم انه لم يعد ثمة حاجة إليها. وسيكون عليك ان تملأي التقرير الخاص بذلك الحادث، ولكن هذا لا يمكنك تأديته في أي وقت يناسبك. وثمة فرع لهم في ألبي.»
قالت بانفعال:«لم يعد يهمني هذا ولو كان لهم فرع في القمر. ليس لك الحق... ليس لك الحق مطلقا في...»
قاطعها:«هل لنا ان نتحدث في هذا الشأن في الطريق؟»
وأمسك بذراعها يقودها خارجاً بها من المبنى عابرا الباحة وهو يتابع:«ان خالتك تنتظرنا للغداء.»
سألته:«خالتي؟» وكانت على وشك ان تقول، أي خالة تلك، لولا انها امسكت نفسها وهي تشهق. ما ان تذكرت. وسألته:«كيف عرفت بذلك؟»
اجاب:«لأن السيدة دي بريسو هي من عمّلائي. وأنا اضع التخطيطات الإصلاحية في قصرها. وهو المشروع الذي سبق وتحدثت عنه.» وسكت برهة مانحا إياها الفرصة لاستيعاب ذلك، ثم استطرد:«لقد حدثتني عنك كثيرا، وفي الواقع كانت قد طلبت مني

احضارك من المطار غداً. ولكنها سرّت حين علمت انك ستصلين إليها سالمة قبل الموعد بيوم.» وسكت لحظة اخرى ثم عاد يقول:«وبجانب هذا، فإنه من غير المعقول ان يكون ثمة اثنتان بإسم مارغوت ترانت.»
فكرت ميغ في نفسها ساخرة، ان هذا ما يظنه هو، وقالت ببطء:«إذن، لا بد انك قد علمت... ليلة أمس...» وسكتت.
اومأ برأسه قائلاً:«عرفت من انت والجهة التي تقصدينها. وكل ذلك من تلك البطاقات الملصقة على امتعتك.»
قالت:«ومع هذا، لم تقل شيئاً.» وعادت الى مخيلتها صورته تلك واقفاً دون حراك بجانب الطريق، يبدو انه لم يكن مسرورا لذلك.
حرك جيروم كتفيه دون اكتراث قائلاً:«فضّلت، من باب الفكاهة ألا افعل ذلك لأستمتع برؤية ما قد يحدث.» وسكت تاركاً إياها لتفكر في ما قاله، ثم عاد يتابع:«وانت ايضاً لم تكوني صريحة تماماً، يا مارغريت.»
احمر وجهها وهي تقول:«ليس عليّ ان اعرض تاريخ حياتي امام غريب.» وسكتت لحظة، ثم عادت تقول بنوع من المعاكسة:«هذا الى انني ظننت، وليت ظني كان صحيحا، انني لن اراك مرة أخرى ابدا.»
قال بلطف:«ها قد وصلنا.» وفتح لها باب السيارة بأدب مبالغ فيه وهو يقول:«كان يجب ان تستمعي إليّ الليلة الماضية.»

قالت:«لقد جاء دورك الآن لتستمع إليّ... قبل ان اصعد الى السيارة.» وألقت عليه نظرة باردة صريحة وهي تلحظ ملابسه الأنيقة، بنطاله الجينز الجيد التفصيل وقميصه الازرق القطني المفتوح عند الصدر. وشعرت بغصة في حلقها وقد خنقتها المشاعر.

قالت وهي تزدرد ريقها:«ان الأمس قد انتهى، بالنسبة إليّ، وبكلمة اخرى انني اعتبره وكأنه لم يكن. فأنا هنا للعمل فقط، لأكون مرافقة للسيدة دي بريسو وأنا لا اريد...» وسكتت مترددة.

قال يكمل لها كلامها:«لا تريدين تعقيدات.»

اجابت بحزم:«بالضبط. انني سأقوم بعملي بينما تقوم انت بعملك، ولا شيء غير ذلك.»

قال وهو يشملها بنظرة:« ربما ليس هذا ما اريده.» وطافت نظراته بين وجهها وذراعيها وكأنه يذكرها بالوقت الذي كانت فيه بين ذراعيه في الليلة الماضية...

احست بشعلة حارقة في اعماقها. وأدركت خائفة، ما يقصد.

أخمدت شعورها هذا بسرعة وهي تقول:«إذن، فهذا امر صعب، يا سيدي. لأنني متأكدة من ان خالتي لا تريد مني الإكثار من المقابلات بأي شكل، في الحقيقة، لو انني اعلمتها بما كان منك، ربما اخذت تفكر في استخدام مهندس سواك.»

ضحك وهو يقول:«اتهديدينني يا جميلتي؟ انني لا انصحك بذلك. فأنا لست في هاوت اريناك بصفتي المهنية. فأنا كما سبق وأخبرتك، في إجازة حالياً،

وخالتك هي صديقة قديمة عزيزة عليّ. وعملي عندها هو مسألة صداقة ومحبة. إذن، عليك ان تتقبلي حضوري، يا مارغريت، سواء شئت ام ابيت.»

سألته وهي تتحرك بقلق:«الى متى؟»

نظر إليها متأملا ثم قال:«حسب ما يستلزمه الوقت.»

سألته بخشونة:«ماذا تقصد؟»

بدا الغموض في عينيه وهو يجيب:«انها بحاجة إلينا، نحن الاثنين، يا مارغريت، وهذا هو المهم. والآن، هل لك ان تصعدي الى السيارة؟ أم انك تفضلين ان نبقى واقفين هكذا الى ان تصيبنا ضربة شمس؟»

صعدت الى السيارة متمهلة وهي تفكر ساخرة، بينما السيارة تتحرك، في إن شرك العنكبوت الذي ينشره جيروم مونتكورت قد انتشر بشكل واسع كما يبدو. وهذا سيجعل هذا الشهر، اطول شهر في حياتها.

وصلا الى هاوت اريناك قبل الظهر مباشرة، وكانت الرحلة مليئة بالتوتر. لم يدر بينهما الكثير من الاحاديث. لقد كان جيروم يوجه انتباهها، بأدب، الى المناظر التي يمران بها، مشيراً الى الأماكن الهامة التي يجتازانها. وكانت اجابات ميغ مختصرة، غالباً، ولم تسمح لنفسها بإظهار أي اهتمام حقيقي إلا عند وصولهما الى قرية اريناك وهي التي يطلق اسمها على القصر.

كانت عبارة عن مجموعة صغيرة من المنازل قائمة على منعطف النهر. وكانت المنازل مبنية من حجارة مرشوشة باللون الوردي، ومعبد ضخم

من القرون الوسطى، تحيط به اشجار الدلب. اشار إليها جيروم قائلا:«لقد بنى هذا المعبد احدهم تخليدا لذكرى نصرهم على الكاثار.»
قالت وهيْ ترتجف:«لقد قرأت في ذلك الكتاب انه قد دارت معارك مخيفة في جميع الانحاء.»
خلف القرية، كانت تقوم لوحة كاحلة اللون شبه مدفونة في الاعشاب المرتفعة على جانب الطريق، تشير الى جسر أثري. وكأن هناك شيء ما بالنسبة الى عبور جسر، كما تراءى لميغ بحيث لا يتمكن الشخص العابر من العودة. كما تقول بعض الاساطير.
هذا هو وضعها الحالي. فهي عندما تصل الى القصر، سيكون عليها ان تقوم بالدور الذي سبق ووافقت على القيام به، مهما كان رأيها في حقارة هذا الدور. فهي الآن مارغوت. لكنها صممت بينها وبين نفسها، ان لا تدع السيدة دي بريسو تعلم بذلك او تتألم من هذه الخديعة. وهذا الرجل الذي يجلس بجانبها لن يعمل هو ايضا.
بدت الاشجار خلف الجسر متشابكة على بعضها البعض مشكلة نفقا رقطته الشمس. وكان الطريق يصعد بصورة ملحوظة. وأمامها تبدو الابواب حديدية مفتوحة بين اعمدة حجرية ضخمة متوجة بتماثيل نسور.
دخل جيروم بالسيارة من خلال بوابة في طريق واسع مهمل، قد نمت في وسطه الاعشاب، والاشجار التي على جانبيه تنمو بفوضوية، فهي بحاجة الى قطع وتشذيب.

عندما استدار في منعطف طويل، ابطأ جيروم بالسيارة وهو يقول:«ان اجمل منظرا يبدأ من هنا.» لم يكن مبالغا كما ادركت ميغ وهي تنحني الى الامام تشهق مسرورة.
بدا قصر هاوت ارينياك منزلاً ريفياً رائعاً قائماً على مرتفع وسط حديقة كبيرة مشبها بجزيرة من الحجر وسط بحر من الاعشاب. انه منزلا مستطيل الشكل، ذات ثلاث طوابق يقوم برج في كل ركن منه، تحيط به الشرفات الواسعة. رأت لون قرميد السطح الحائل، يتناقض مع لون الجدران الحجرية المغبرة. والنوافذ المستطيلة ذات مصاريع بيضاء اشبه بأجفان العيون، وكأنما اصاب النعاس هذا المنزل من جراء اشعة الشمس.
اوقف جيروم السيارة على الحصى تحت الشرفة. مشيرا الى ميغ أن تسبقه صاعدة الدرج العريض الذي يقود الى المدخل الرئيسي.
كان الهواء حارا خانقا، وارتفع صدى وطء حذائها ذي الكعب العالي على الباحة المرصوفة. وعندما اقتربت، رأت ان ما قاله جيروم عن احسن منظر، كان فيه بعض التهكم. فقد كان القصر يبدو للناظر من البعيد اجمل شكلا. اما عن قرب، فقد كان واضحا ان الجدران بحاجة الى إعادة طلاء، كما ان العديد من مصاريع النوافذ والأبواب في الطابق الارضي متدلية وبحاجة الى اصلاح.
بدا كل شيء متهالكاً وقد مر عليه الزمن. فكرت

ميغ بازدراء في هذا الإرث الذي تنتظره مارغوت والذي لا يبدو عليه انه ثروة مضمونة تستحق الذكر.
عندما وصلت الى الباب الضخم، فتح أمامها لتجد نفسها امام امرأة صغيرة الحجم في ثوب قاتم وعيناها تشعان مرحبة بها.
قالت المرأة:«تفضلي بالدخول يا آنسة. ان السيدة طلبت مني انتظارك.» وتجاوزتها بنظرها لتتسع ابتسامتها قائلة:«السيد جيروم؟»
قال جيروم:«كيف حالك، يا فيليبين؟» ونظر الى ميغ مستطردا:«هذه هي السيدة لانج يا مارغوت التي تدير المنزل هنا.»
فكرت ميغ، ورائحة رطوبة خفيفة تنتشر في المكان، في ما يمكن لهذه المرأة عمله إزاء هذا السقف البالغ الارتفاع والذي كانت تغطيه رسوم مختلفة باهتة. وكانت الجدران مغطاة بألواح خشبية قذرة، وبصور يبدو انها لوحات تمثل أسلاف السيدة دي بريسو دون شك. اخذت هذه الافكار تجول في ذهن ميغ وهي تسير معهما نحو باب بمصراعين، فتحته فيليبين وهي تعلن:«لقد وصلت، اخيرا الآنسة مارغوت، يا سيدتي.»
دخلت ميغ الغرفة، وهي تجاهد للتغلب على ذعرها، لتجد نفسها في غرفة استقبال واسعة تشرف على الحدائق الخلفية. والابواب الفرنسية الطراز تقود الى شرفة نصف مفتوحة لتمنع دخول اشعة الشمس الحادة.

كان على ميغ ان تحدّ النظر لتستطيع رؤية مضيفتها.
رأت مارغريت دي بريسو جالسة بجسدها شبه المنتصب على مقعد منجّد بالساتان المخطط، قرب المدفأة الرخامية الخالية. مرتدية ثوبا كحليا من الحرير. وقد صفف شعرها الابيض كالثلج عاليا فوق رأسها، وتضع على عينيها نظارة داكنة اللون، وقد اسندت عصا من الخيزران ذات مقبض فضي الى كرسيها.
بسطت لها يدها مرحبة وهي تقول بصوت واضح وحازم بعكس مظهرها:«اهلا بك في هاوت اريناك يا ابنتي العزيزة.» ثم تابعت تخاطب مدبرة المنزل:«دعي شيئا من النور يدخل يا فيليبين من فضلك.»
فتحت المرأة الابواب ليتدفق نور الشمس الى الداخل لتظهر الفخامة الخابية للغرفة.
كانت السيدة ما زالت قابضة بشدة على يد ميغ، لتجذبها بعد ذلك إليها تحتضنها بسرعة واضعة الخد على الخد.
قالت وهي تتنهد بضعف:«مضى وقت طويل منذ رأيتك لآخر مرة، يا عزيزتي... طويل جدا وأنا ألوم نفسي لذلك. لأنني وأمك، لم نكن قط صديقتين، وبعد وفاة والدك العزيز، لم احافظ على مداومة الاتصال بيننا، وهذا ما أنا آسفة له الآن بعد هذا الزمن الطويل، وها ان غياب مرافقتي سيلفي قد منحني فرصة لسدّ هذه الفجوة التي حدثت بيننا.»
استعاد ذهن ميغ صدى كلمات زوجة ابيها ايريس الحاقدة وهي تقول:(انها لم تحبني قط. فهي كانت تعتقد

www.rewity.com RAYAHEEN

على الدوام بأنني لم اكن اهلاً لإبن اختها المحبوب.)
قالت ميغ برقة:«انني اقدر شعورك هذا.»
اشتدت اصابع السيدة دي بريسو على اصابع ميغ وهي تقول:«هل لنا ان نتخلى، اذن عن ادعائنا الاحمق بأننا نتذكر بعضنا البعض، ونبدأ تعارفنا من جديد منذ هذه اللحظة؟»
اومأت ميغ برأسها قائلة:«انني... انني احب ذلك، يا سيدتي.»
اشرق الوجه النحيل بالابتسام وهي تقول:«إذن، ربما من الافضل، إكراما لوالدك، ان تدعيني عمتي كما كان يفعل هو.»
غمرت ميغ الكآبة وعاودها الشعور بالذنب وهي تجيب متكلفة الابتسام:«سأحب هذا طبعا.»
نظرت السيدة الى جيروم قائلة:«انها فاتنة، أليس كذلك يا عزيزتي؟ انني شاكرة لك كرم اخلاقك في إحضارها إليّ.»
أخذ يدها يقبلها قائلاً:«صدقيني ان هذا كان مبعث سرور لي.» وارتفعت نظراته الى عيني ميغ بنظرة لا تعبّر عن شيء، بينما تورّد وجهها خجلا.
قالت السيدة بصوت منخفض ذي معنى:«ارجو ذلك. وإنني اعتمد عليك، يا جيروم، في ألا تدع مارغوت تشعر بالملل اثناء مكوثها هنا.» واستدارت نحو ميغ متابعة:«لقد كان ضدّ فكرتي في دعوتك، يا عزيزتي وطبعا، كانت له وجهة نظر في ذلك. وهو ان من الصعب ان ننتظر من فتاة شابة مفعمة بالحيوية، ان

تترك حياتها المليئة، لتمضي شهراً هادئاً في الريف.»
رفعت ميغ وجهها قائلة:«احقا كان هذا رأي السيد مونتكورت؟ ولكنه ليس رأيي انا. فأنا سعيدة بأن اكون معك يا... عمتي.»
اخذت السيدة يد ميغ تربّت عليها قائلة:«هل سمعت، يا جيروم؟ علينا ان نجعلها تمضي وقتا طيبا.»
عضت ميغ شفتها قائلة:«انني لست بحاجة الى كل هذه العناية.» وبان في صوتها اليأس وهي تستطرد:«كوني عضوا في الأسرة، يكفيني تماما. وانا بالطبع، لا اريد ان ازعج السيد مونتكورت اكثر من ذلك. فأنا اعلم ان وقته مليء بالعمل.» وضمّنت جملتها الاخيرة معنى ما، لتجعله يفهم من ورائها ما يشاء، وهي تنظر الى فمه الحازم وهو يلتوي بشكل يظهر به ادراكه ما لمحت به.
قالت السيدة:«ولكن سيكون لديك كثيراً من الفراغ لكي تملئيه، ذلك ان طبيبي قد أصرّ عليّ بكل حماقة بالراحة صباحا وبعد الظهر.»
اجابت ميغ بلهجة حاسمة:«سأكون على ما يرام. اعدك بذلك.» وابتسمت للمرأة العجوز وهي تستطرد قائلة:«كل شيء هنا جديد بالنسبة إليّ، وأنا متأكدة من انني سأجد الكثير مما يشغل وقتي.»
قال جيروم بلطف:«وذلك بتتبع آثار الكاثار على الاغلب.» وانتقلت نظراته الى السيدة قائلا:«ان مرافقتك الجديدة، ايتها العزيزة، تدرس تاريخ غزو الكاثار.»

رفعت السيدة حاجبيها وهي تقول:«انها فترة من التاريخ كانت محزنة ودموية،، وهذا اهتمام غريب ايضا، بالنسبة لفتاة صغيرة حلوة.» وأردفت مداعبة:«ان ما افهمه هو ان اهتمامها ينبغي ان ينصبّ على أغاني التروبادور الغرامية.»

قال جيروم برقة بالغة:«من الواضح ان الآنسة مارغوت تخفي، في الاعماق، شيئا غير متوقع. وانني لأتساءل عما تختزنه لنا من الغرائب.» وسكت برهة، ثم عاد يقول:«هذا بالإضافة الى لغتها الفرنسية الممتازة.»

هتفت السيدة مذهولة:«احقا؟ ولكن رسالة امك اوضحت تماما ان ليس في إمكانك النطق بكلمة فرنسية واحدة.»

غصت ميغ بريقها وهي تقول متصنعة العفوية في لهجتها:«انها لم تسألني، في الواقع. إذ ان علاماتي المدرسية ما كانت يوما جيدا بالنسبة الى كل تلك الافعال الشاذة.» وهزت كتفيها لاوية وجهها بشكل مضحك وهي تتابع:«وقد تكون ظنت ان الامر لم يتغيّر بالنسبة الى لغتي الفرنسية.»

قال جيروم:«انها غلطة شنيعة كما ارى بالنسبة إليك يا جميلتي، إذ لا يمكن لشيء ابدا ان يؤخذ بالظن.» وظهر التهكم على وجهه وهو يتابع:«اظن ان الشهر الذي نستقبله سيكون مليئا بالمرح والفائدة.»

هتفت السيدة بانتصار:«ارأيت؟ كانت دعوتي بالعمل الصواب.» واستدارت نحو ميغ متابعة:«والآن ستدلك فيليبين على غرفتك، يا عزيزتي، وعندما ترتاحين قليلا

سنتناول الغداء.»

تنفست ميغ الصعداء وهي تنجو بنفسها من غرفة الجلوس قبل ان تتهاوى ساقاها فتسقط على السجادة الحائلة اللون.

حسنا، لقد طهرتها تلك النار الحارقة التي عانتها، لتنتعش من جديد.

كانت هذه الافكار تراودها وهي تتبع خطوات فيليبين النشيطة صاعدة السلم. ولكن كراهيتها لنفسها، لشعورها بأنها دخيلة في هذا المنزل، لم تخف مثقال ذرة وهي ترى نفسها تقابل هذه الضيافة والعواطف بالخديعة ودون استحقاق لها.

كأنما لم يكف هذا، ليأتي جيروم مونتكورت فيجعل الامور اسوأ مئة مرة، انه كابوس لا يقظة منه، وشعرت بغصة في حلقها. إن كل تصرفاته نحوها كانت مزعجة... غامضة تماما.

ان عليها ان تبقى بعيدة عنه قدر امكانها، هذا إذا كانت حريصة على راحتها النفسية. وقد لا يكون هذا سهلا، ولكنها، على الاقل ستبقى في الامسيات بمفردها عندما يذهب جو الى مسكنه وحياته الخاصة.

عندما اطمأنت الى هذه الفكرة، وجدت خيالها يعود بها الى تلك المناظر الخلابة، والتلال الشرقية من خلال الجدار الزجاجي... وأخذت تتساءل كم عدد النساء اللواتي اخذن يراقبن الفجر معه... وهتفت من الاعماق، «آه... آه.» وشعرت بألم اشبه بإغماد سكين في قلبها لا يماثل أي ألم شعرت به من قبل بعنفه

المفاجيء. فكرت في ان هذا الشعور لا بد ان يكون الغيرة... هل هي تغار؟ ولكن هذا يعني انها...
وهذه المرة، لم تكن الرجفة التي انتابتها، بتأثير الحب، بل كانت بتأثير الخوف.

الفصل السادس

«هذه هي غرفتك، يا آنسة.»
أخرجت كلمات فيليبين ميغ من خواطرها المرعبة. شكرتها وقلبها ما زال يخفق بعنف، متمردا على ما اكتشفته في اعماقها منذ برهة. ودخلت غرفتها من الباب الذي ما زالت فيليبين ممسكة به مفتوحا لها.
وجدت نفسها في غرفة فسيحة مربعة، حملت الكآبة الى جوها مجموعة من الاثاث المنحوت القديم الطراز وسرير كبير ذو سقف. كانت رائحة الرطوبة العفنة اقوى منها في الطابق الاسفل. ولكن فراش السرير كان وثيرا مريحا رغم مظهر السرير الكئيب. كما كانت الملاءات ناعمة معطرة ببعض الاعشاب العطرية الجافة كما ادركت ميغ، وقد ساورها السرور.
دخلت فيليبين تحمل بعض المناشف وهي تقول:«ارجو ان تجدي الراحة التامة هنا. ان الحمام عبر الممر بجانب الباب. وهو الوحيد في هذه الناحية من المنزل. وهكذا ستتشاركين به مع السيد جيروم مونتكورت.»
دارت ميغ على عقبيها وهي تقول مصعوقة:«ولكنه لا يسكن هنا.» وسكتت لتخفف قليلا من الحدة التي بدت في لهجتها ثم تابعت قائلة:«اعني ان له بيته الخاص، وهو ليس بعيدا من هنا، أليس كذلك؟»
هزت فيليبين كتفيها وهي تقول:«آه، نعم. ولكنه يأتي

إلينا احياناً لقضاء الليل.» وألقت حولها نظرة وهي تتابع قائلة:«لكي ينتهي من معاينة هذا المنزل في وقت قصير، ويجهز قائمة العمل، يستلزم هذا مجهوداً كبيراً. وأحياناً، يبدأ السيد عمله في الصباح الباكر، لينتهي متأخراً في الليل. وهكذا يجد من الافضل ان يبقى هنا.» وابتسمت لميغ بجرأة وهي تستطرد:«هذا الى إن السيدة تريد منه ان يبقى. فهي تحب ان ترى رجلاً في منزلها. وهي تقول انها تعتبره إبنا لها حيث لم ترزق المسكينة بأولاد.»

قالت ميغ من دون ان يبدو عليها أي تعبير، بينما كان قلبها يغوص بين ضلوعها:«احقاً؟»

قالت فيليبين وهي تشير الى حبل معلق بجانب السرير:«إذا اردت أي شيء، يا آنسة، فيمكنك ان تشدي هذا الجرس، إذ عليّ ان اذهب الآن لتحضير الغداء.»

تصنعت ميغ ابتسامة وهي تقول:«انني متأكدة من ان كل شيء على ما يرام.» وكانت قد لاحظت لتوها، القفل المزخرف المزوّد به الباب، والمفتاح بداخله. ربما كان صدئا، ولكنه صالح دون شك... إذ ربما فكر السيد مونتكورت في ان يشترك معها بأكثر من الحمام.

عندما تركتها فيليبين، خرجت ميغ لتلقي نظرة على الحمام. وسرها إن تجد قفلا على الباب. كان حوض الاستحمام قائما في وسط الحمام.

مدت ميغ يدها تختبر الصنبور النحاسي الثقيل ليتدفق الماء الساخن منه. وأخذت تربت على الجوانب المقواة

بالحديد وهي تخاطبه:«اظننا سنكون اصدقاء.» وتمنت لو بإمكانها الغوص فيه حالا، لتتخلص من هذا الشعور بالضيق والحيرة اللذين يكتنفانها. ولكن اقتراب موعد الغداء جعلها تكتفي بغسل وجهها ويديها فقط.

عادت تجتاز الممر لإحضار منشفة، لتقف مصعوقة امام الباب وهي ترى جيروم مونتكورت يستدير إليها من امام النافذة ويديه على خاصرتيه.

استبد بها الغضب وهي تراه وكأنه يشعر بنفسه في منزله. سألته من بين اسنانها:«ما الذي تفعله هنا؟ ان اعصابك في منتهى البرودة حقا.»

اجابها بسرعة وحدة وهو يشير الى زاوية الغرفة:«لا تكوني حمقاء، فقد احضرت لك امتعتك. لقد اصبحت هذه عادة.»

قالت بجفاء:«اشكرك. ولكنني ما زلت لا اريدك هنا.»

وسارت نحو السرير تمسك بحبل الجرس وهي تتابع قائلة:«أم لعلك تريدني ان استدعي فيليبين؟»

قال بسرور:«يمكنك استدعاء من تشائين. ولكن لا تشدي الحبل بقوة وإلا سقط الحبل والجرس في يدك جارا معه السقف كذلك. كان على فيليبين ان تنبهك الى هذا.»

قالت:«انا لا اصدقك.»

قال مبتسما:«هذا ممكن. انها كلمة المهندس.»

تركت الحبل متمهلة وهي تقول بمرارة واضحة:«لا اظن انه ينبغي عليّ ان اصدقك بشيء.»

قال بجفاء:«هذا كلام خشن.» وشملها بنظراته وهو

يتابع:«اظن اننا، نحن الاثنين، يجب ان نعلن هدنة بيننا.»

قالت:«وعلى أي اساس؟» وواجهته برأس مرفوع وعينين متألقتين، رافضة الاعتراف لنفسها بتأثير جاذبيته القوية. وهي تتابع:«وإلى متى؟ آه، لا تقل كما سبق وقلت من قبل، (حسب ما يستلزمه الوقت).» وأطلقت ضحكة قصيرة جافة.

قال:«بالضبط، فهناك اشياء كثيرة يمكن ان نحققها بنجاح، كما سبق ولاحظت.» ونظر حوله وهو يتابع:«ارجو ألا تكون قد انتابتك خيبة الأمل لما يحيط بك. إذ لا بد انك سبق وتصورت اشياء اكثر حداثة وبريقا... وثراء طبعا.» وهز رأسه وهو يستطرد قائلا:«من دون نقود يوقف التدهور، يصبح منزل كهذا عبئا اكثر منه ميزة.»

قالت بجفاء:«هذا لا يهمني بشيء، ولا اظن ان السيدة دي بريسو تحب مناقشة شؤونها الخاصة من وراء ظهرها مهما كانت صداقتك لها.»

قال وابتسامة خفيفة تلوح على زاويتي فمه:«انني اتقبل الانتقاد. إذن فإنك لم تفكري قط في المستقبل يا مارغريت.. ولم تتساءلي عما يمكن ان تفكر فيه خالتك المسنة بالنسبة الى ميراثها المتهالك هذا. ولماذا اختارت ان تستدعيك الى هنا في هذا الوقت بالذات؟»

اجابت بصراحة جافة:«كلا. لم افكر في كل هذا.» ذلك ان هذا السبب لم يكن هو سبب حضورها الى هنا...

ولكن ألم يكن ذلك للمحافظة على مصالح مارغوت المادية؟ مع انه يبدو ان هذه المصالح قد ابتدأت تتلاشى بسرعة وأحست بوخز في ضميرها لشعور خفي بالرضى لهذا الأمر. ضحك جيروم قائلا:«انك تقريبا، طيبة الى حد لا يصدق، يا جميلتي.» كان في صوته رنة ساخرة، وهو يتابع:«انني اتطلع ما ستؤول إليه علاقتنا في الاربعة اسابيع القادمة.»

رفعت وجهها متحدية وهي تقول:«حسنا، انني لا اشاركك توقعاتك هذه، كما انه ليست بيننا اي علاقات حسب ما اعتقد.»

رفع حاجبيه وهو ينظر إليها بإمعان قائلا:«مطلقا؟ ان ما اذكره يختلف عن هذا تماما.»

اجابت ببرود:«ربما، انين أذكر... لحظة اوشكت فيها ان أحيد عن الطريق القويم. ولا شيء غير ذلك.» وتنفست بعمق وهي تتابع:«في الحقيقة، ايها السيد ان عندي شعورا غريزيا بأنك لا تشعر نحوي ولو بمجرد المودة الخالصة.»

قال بازدراء:«مودة؟ وماذا تفعل هذه الكلمة البسيطة إزاء المشاعر الجياشة بين رجل وامرأة؟ لقد كنت منجذبا إليك ليلة أمس، يا مارغريت، فلا الانكار ولا الندم ولا شيء مطلقا يمكن ان يغير من الحقيقة شيئا.» وفي خطوتين، كان بجانبها. وقبل ان تستوعب تماما ما يمكن ان يحدث، فتأخذ حذرها، وجدت نفسها بين ذراعيه.

هتفت من اعماقها، وهي تشعر بخفقان قلبها يعلو، يا

www.rewity.com RAY AHEEN

لحظي الحسن! وفجأة، إذ به يطلقها من بين ذراعيه، مبعداً إياها عنه بشيء يقرب من الغلظة. وعيناه تتألقان، وهو يقول:«دعينا اذن، من الحديث عن الطريق القويم يا صغيرتي الجميلة المنافقة. إذ اننا قد اتفقنا الآن معاً.» وتأمل وجهها المتضرج وهو يقول:«أليس كذلك، يا عصفورتي الحلوة؟» ومشى نحو الباب. راقبته بذهول وهو يأخذ المفتاح من القفل، ناظراً إليها من فوق كتفه، قائلاً وكأنه يخاطب نفسه:«من الافضل ان يبقى معي.» ثم خرج من الغرفة، تاركاً إياها في ذهولها ذاك، لا تدري ماذا تفعل او تقول.

استعانت ميغ بكل ما تملك من شجاعة، لكي تنزل الى قاعة الطعام، مستميتة في سبيل ان تجد طريقة للاعتذار عن تناول الغداء، محتجّة لذلك بصداع او ما اشبه. ولكن هذا سيعني اعترافاً منها بانتصاره عليها مما تفضل الموت عليه.

وهكذا دخلت الحمام تغسل وجهها بالماء البارد، ثم عادت الى غرفتها لتضع على وجهها قليلاً من مواد التجميل بشكل محتشم تخفي بذلك تضرج خديها، واحتقان عينيها الناتج عن حدة المشاعر التي تعانيها، ولكنها لم تستطع ان تفعل شيئاً لنبضها المتسارع، ولا لتوقد العواطف ذاك الذي بعثه في احاسيسها.

فكرت، وقد ساورها الشعور بالعار، في ان يقظة مشاعرها هذه لم تكن من فعله وحده... والآن، عليها ان تواجهه... ان تتظاهر بأنه لم يحدث لها شيء. وان كل ما في الامر انه قد احتضنها بين ذراعيه ولا

شيء سوى ذلك. وهذا فقط لكي يثأر لكرامة رجولته التي سبق وجرحتها. وفكرت في انها لن تكرر هذه الغلطة مرة اخرى. لقد جاءت الى هذا المكان لكي تكون مرافقة للسيدة دي بريسو ولا شيء غير ذلك. ومن الآن وصاعداً، ستبقى معها كظلها ولن تتزحزح من قربها.

كانت تفكر في كل ذلك وقد سيطر ملامحها العبوس. لن يتمكن من ان يفعل شيئاً، مهما بلغت جاذبيته. وعاجلاً أم آجلاً، لا بد سيلمس عقم محاولاته مطاردتها، فيعود الى تلك المرأة التي كلمته في الهاتف، ليكرّس نفسه لها... او الى أي امرأة اخرى على قائمته، تاركاً إياها حرة في العودة آخر الشهر، الى بلدها لكي تنساه تماماً. هذا إنما استطاعت ذلك.

نظرت الى وجهها في المرآة متأملة عينيها المتسعتين المضطربتين، والتوتر في خديها، وارتجاف شفتيها. وشعرت بلهفة الشوق إليه، ومرارة الهجران. رفعت عينيها تدعو وقد انتابها كرب مبرح، وهي تتمنى ألا تقع في حبه.

برأس عال، نزلت السلم، وتوقفت قليلاً تتمالك نفسها بعدما سمعت اصواتاً تنبعث من غرفة الجلوس، وبهدوء، دفعت الباب ودخلت. كانت السيدة تحتل مقعدها المعتاد. وقد رفعت يدها تضغط جبينها بضعف، بينما كان جيروم واقفاً عند النافذة حاملاً بيده رزمة من الورق.

عندما دخلت ميغ، كانت السيدة تقول:«إذا كنت تظن

ان هذا العمل ضروري، فلا بد اذن، من اجرائه.»
اومأ برأسه وهو يضع الاوراق في محفظته، قائلا:«سأقوم ببعض التخطيطات، ثم اضمها الى التقرير.» وقطب جبينه قليلا وهو يتابع قوله:«ولكن عليّ انتظار عودة ماري كلود من اجازتها لكي تطبعها، وتأخير ذلك هو مزعج في الواقع.»
قالت السيدة فجأة:«ربما، في هذه الحال، تستطيع مارغوت مساعدتك في ذلك، فهي تعمل سكرتيرة لسياسي انكليزي، كما علمت.» واستدارت نحو ميغ قائلة:«انني متأكدة يا عزيزتي من انك ستكونين مسرورة إذ تنوبين عن ماري كلود.»
شعرت ميغ وكأنها استحالت الى تمثال من الحجر. ان هذه عقبة لم تكن قد تنبأت بها، سواء هي ام مارغوت. وانتابها انفعال شديد في اعماقها.
قالت ببرود:«انني اشك في قدرتي على المساعدة، فأنا لست طابعة في الحقيقة، وإنما مساعدة شخصية. وربما مهارتي العملية لا ترتفع الى مستوى عمل السيد مونتكورت.»
بدا وكأنها ستواجه، مرة اخرى، غضب جيروم البارد ذاك، ولكن ذلك لم يدم سوى لحظة، قال بعدها بابتسامة ملتوية وهو يهز كتفيه:«سيكون من دواعي سروري ان استفيد من مهارتك مهما كان مستواها.»
قالت السيدة دي بريسو:«إذن، فقد استقر بنا الأمر على هذا. والآن، فلنذهب لتناول الغداء.»
مشت امامهما الى غرفة الطعام متكئة على عصاها.

وتبعتها ميغ وقد فارقتها شهيتها للطعام. ذلك ان الدروس المختصة بالتجارة والتي تلقتها في السنة النهائية من دراستها لا تؤهلها لأي اعمال سكرتارية، بل لا تكاد تكون لها اهمية مقابل العمل المعقد الذي عليها ان تقوم به الآن.
عندما جلست الى المائدة. رمقت جيروم بنظرة مشتعلة من الغضب، إزاء نظرة السخرية الممزوجة بالانتصار وشيء آخر بدا في عينيه لم تستطع فهمه.
بدا لها وكأن السيدة دي بريسو تحاول ان تدفع الواحد منهما نحو الآخر، ولم تشعر ميغ بالسرور لهذا الخاطر الذي ساورها وهي تحتسي الحساء، قالت:«متى تريدان مني ان ابدأ العمل؟ بعد ظهر اليوم؟»
اجاب جيروم بنفس الابتسامة الملتوية:«انني لا احب الاستعباد لكي ادفعك للعمل بهذه السرعة. ان الغد هو مناسب تماما.»
فكرت ميغ باكتئاب في ان الامر بأجمعه قد تمّ بشكل اسرع مما يجب. وكانت فيليب ترفع الاطباق، لتحضر طبقا يحوي سمكا مشويا مع البازلا والبطاطا وقد رش فوقه البقدونس.
قال لها جيروم بينما انهمكوا جميعاً في تناول الطعام:«والآن، اخبرينا ما هو بالضبط، عمل المساعدة الشخصية الذي تزاولينه؟»
اجابت ميغ وهي تركز اهتمامها على نزع حسكة من قطعة السمك التي امامها:«إنه متنوع.»

عاد يقول بلطف:«انني متأكد من ذلك، ولكن لا بد ان في امكانك إن تذكري واحد منها على الاقل.»
قالت:«حسنا، هنالك الابحاث.» كانت قد سبق وسمعت مرة، مارغوت تذكر هذا. وشعرت بالارتياح إذ تذكرت ذلك وهي تتابع:«كما انني اساعد في حل المشاكل التي تحدث في الدوائر الانتخابية.»
رفع حاجبيه يسألها:«وكيف استطعت التخلي عن مثل هذه المسؤولية لتقضي هنا اربعة اسابيع؟ لو كنت انا رئيسك في العمل، لما قبلت ذلك.»
حدقت ميغ في صحنها وهي تقول:«ان عطلتي السنوية هي ستة اسابيع، اما موعد العطلة وكيفيتها، فهذا راجع إليّ، وعلى كل حال، فإن العطلة البرلمانية قد اصبحت قريبة.» وتمنت، وهي تقول هذا، ان يكون كلامها صحيحا.
قالت السيد دي بريسو وقد بدا عليها الانزعاج:«ومع هذا، فإن من كرم اخلاقه ان سمح لك بالقدوم إليّ انني لم ادرك المشكلة التي قد تسببها دعوتي لك حين ارسلتها.»
ابتسم لها جيروم قائلاً:«ليس لك ان تقلقي. فأنا متأكد من ان فتاتنا الجميلة مارغوت هي اجمل السكرتيرات، فهي اغلى من ان يفرطوا بها.» وتشابكت نظراته مع نظرات ميغ كما يتشابك السلاحان قبل المبارزة ما جعلها تجفل بينما تابع قائلا:«أليس كذلك، يا جميلتي؟»
اجابت بجمود:«لست انا من يقرر مثل هذا.»

ضحك بهدوء وهو يقول:«انك متواضعة اكثر من اللزوم.» وانحنى فجأة الى الامام وهو يتابع:«اخبرينا إذن، عن مخدومك ذاك الذي يشبه الأمير بين الرؤساء، كيف يبدو؟»
قالت السيدة مداعبة:«لا اظن ان أي رئيس يبدو اميراً في عين سكرتيرته، يا عزيزي، فهي عادة، تعرفه كما تعرفه زوجته.»
قال جيروم وعيناه مثبتتان على وجه ميغ المنفرج وقد بدا الغموض على ملامحه:«هذا افضل، ان مثل هذه المعلومات الشخصية تنورنا اكثر.»
عضت ميغ شفتها قائلة:«ان اخلاقي تمنعني من ان اتحدث عن خصوصياته.»
قال ساخرا:«اوه، هيا. انك بين اصدقاء ولا شيء مما تقولينه يمكن ان يتسرب خارج هذه الجدران. فأين الضرر في هذا؟ انني متأكد من انه لن ينتج عن هذا أي ضرر.»
شعرت باستياء داخلي، انهما لن يطلقا سبيلها. فقد كان الاثنان ينظران إليها بتوقع، خصوصا جيروم.
بللت شفتيها الجافتين وهي تفكر، بسرعة، في ستيفن كيرتيس. قالت:«حسنا، انه طموح ومليء بالحيوية وشديد التحمل.» لم يكن من السهل عليها ان تصف شخصا لم تره إلا على شاشة التلفاز، وكل ما تعرفه عنه هو ما سمعت به.
سألها جيروم:«هل هو شاب؟»
اجابت:«اظنه في الثلاثينات من عمره.»

نظر إليها بحدة قائلاً:«ألست متأكدة من ذلك؟ كيف تدعين إذن، ان علاقتك به حميمة؟»
رفعت وجهها لدى ما ظنته سخرية في لهجته، وهي تقول:«انني لم ادع شيئاً من هذا النوع، فهذه فكرتك انت وليس لي بها علاقة.»
رأت عينا جيروم تضيقان، وسكت لحظة ثم قال:«حتى ولو لم تكوني تعرفين عمره، فلا بد انك تعرفين ان كان متزوجا او عازبا.»
قالت:«بل هو متزوج.» وتساءلت بينها وبين نفسها عما إذا كان ما يزال متزوجا حقيقة، ام ان مارغوت قد نجحت في دسائسها.
سألته السيدة:«هل هو وسيم؟»
هزت ميغ كتفيها قائلة:«اظن ذلك. نعم.» قالت هذا رغم ان نوع وسامة ستيفن كيرتيس لم يجذبها قط، فربتت السيدة على يدها مداعبة:«يبدو لي، يا عزيزتي، وكأن هذه الإلفة قد ولدت نوعا من الإزدراء. حسناً، ربما ليس هذا بالامر السيء. هل هو الشخص الوحيد الذي اشتغلت معه؟»
اجابت ميغ:«نعم.» وفكرت في ان مارغوت قد خرجت من معهد السكرتاريا العالي مباشرة للعمل مع ستيفن كيرتيس في دائرة رسمية خاصة في مدينة لندن قبل ان يصمم على ترشيح نفسه للنيابة.
قال جيروم متأملا:«ولهذا كنت قليلة ، ولا بد ان يشعر مخدومك بالشكر لي لتوسيعي آفاقك.»
اجابت ميغ وهي تدعو ان يتغير موضوع الحديث:«ربما.»

قالت السيدة وهي تشير الى فيليبين بإحضار الحلوى:«أمل ان يستطيع تدبير اموره في غيابك.»
اجابت ميغ متجاهلة ابتسامة جيروم الهازئة:«ليس ممن لا يمكن الاستغناء عنه.»
سألها بلطف:«الا تخافين من ان يوظف اخرى بدلاً منك، وذلك اثناء غيابك؟»
هزت كتفيها قائلة:«هذه مغامرة كان لابد لي من القيام بها.»
رفع حاجبيه يسألها:«مغامرة اخرى؟ يبدو انك تحبين اقتحام الاخطار.»
بقيت الابتسامة التهكمية على شفتيها، ولكن خفقات قلبها تسارعت عندما فكرت في ان هذا لم يحدث قبل الآن. ذلك أنه من الممكن جدا ان ينكشف تنكرها هذا، لتطرد من هاوت ارينياك بما تستحقه من الخزي. إذ أنه ليس ثمة شخص عاقل يصدق ان انسانا مليئا بالحيوية، كما وصفت ذلك النائب، يمكن ان يتحمل عدم كفاءتها هذه، لحظة واحدة.
فكرت في انه يمكنها ان تخادع، ولكن الى متى؟ ربما من الافضل ان تطرد من المكان ولو ان فشلها سيخلق المشاكل في منزلها. ولكنها، على الاقل، ستنجو من الاغواء حيث يوجد جيروم. وإذا كانت ستتألم لأجله، فمن الافضل ان يكون هذا بعيداً عنه.
قالت لها السيدة:«انك تبدين هادئة جداً يا عزيزتي وحزينة ايضا. أليس كذلك يا جيروم؟»
اجاب وهو يقشر تفاحة:«ربما كانت تحن الى وطنها، مشتاقة الى من تركتهم خلفها.»

قالت السيدة:«هذا طبيعي. يجب ان تتصل بمنزلك، يا مارغوت، لتطمئني امك انك هنا وفي أمان. يمكنك ان تستعملي الهاتف الذي في غرفة المكتبة في أي وقت. وجيروم سيدلك على مكانه.»

تناولت السيدة عصاها وهي تقف قائلة:«سأصعد الآن الى غرفتي للراحة.»

قالت ميغ وهي لا تعرف نوع العمل المفروض عليها القيام به:«هل آتي معك؟»

اجابت السيدة:«كلا، واستمتعي بحريتك كما تريدين. موعد تناول الشاي هو الرابعة بعد الظهر. وفي نفس الوقت تصل الصحف الانكليزية. وأريدك ان تقرئيها لي.» وتابعت طريقها وهي تمنحهما ابتسامة.

فتح جيروم لها الباب لتتابع طريقها صاعدة الى الطابق الاعلى تساعدها فيليبين، ثم استدار عائداً الى ميغ قائلا:«والآن، هيا الى الهاتف.»

اجابته بحدة:«ليس ثمة ضرورة للسرعة.»

قال:«هناك شيء واحد يجب ان تعرفيه حالاً، وهو ان ما تريده خالتك هو القانون في هذا المنزل. انها تشعر ان امك لا بد انها قلقة عليك، ومن حقها ان تطمئن. وهذا هو المهم.»

قالت بهدوء:«نعم. لم اكن افكر في هذا.»

قال:«يجب ان تحاولي ذلك. ان السيدة حسنة الظن بك. وانا لا اريدها ان تشعر بخيبة الامل بأي شكل كان.»

رفعت رأسها قائلة:«وأنا ايضاً... صدقني.»

قال وقد استحالت ابتسامته الى عبوس:«إذن، فقد تفاهمنا. تعالي معي، اذن يا جميلتي.»

خطر لها، وهي تتبعه، ان بإمكانها ان تسير خلفه الى آخر الدنيا، لو اراد هو. ولو انها عند ذاك، ستكون اكبر حمقاء في العالم. وشعرت برغبة في البكاء لحماقتها هذه.

www.rewity.com ~RAYAHEEN~

الفصل السابع

اعادت ميغ السماعة الى مكانها وهي تتنهد. لقد حاولت الاتصال بزوجة ابيها ثلاث مرات. وفي كل مرة كان الهاتف يبدو مشغولا. وعليها ان تعاود الاتصال في ما بعد.

فكرت، وهي تجيل نظرها حولها في رفوف الكتب المكتظة بها المكتبة، في ان مكتبة آل بريسو، هذه تستحق هذا الاسم فعلا. لقد كانت الجدران مرصوصة بالكتب حتى السقف، هذا إذا استثنينا الجدار الذي تقوم فيه الابواب الفرنسية التي تفتح على الشرفة، وكذلك كانت صناديق الكتب موزعة على ارضية الغرفة. وكانت معظم الكتب مجلدة ومؤرخة بتواريخ القصر المختلفة.

مشت نحو اقرب رف، حيث اخذت تتفحص عناوين الكتب. وتملكتها الإثارة وهي ترى محتوياتها عن قرب. وركعت على ركبتيها تخرج المجلدات وتقلب صفحاتها بكل احترام وعناية.

رأت على الرف، كتاباً قد توارى وراء غيره من الكتب. ولما تناولته وجدت انه مجموعة اشعار فرنسية قديمة. ولكن الطبعة كانت اكثر حداثة من غيرها من هذا النوع من الكتب.

ابتدأت تتصفحه تفتش فيه عن شعر الأوباد الذي سبق وقرأ لها جيروم شيئاً منه. ولكن املها خاب إذ لم تجده في هذا الكتاب، مع ان اغلب الاشعار الموجودة

كانت تتحدث عن الحب. ورغم ان اغلب الكلمات كانت قديمة مهجورة، إلا ان تعابيرها كانت مألوفة، البحث عن الحب، الاشباع العاطفي، فقدان الحب، الذي كان اقوى وأعنف تأثيراً من غيره، كان كل هذا موجوداً.

كانت مشاعر العذاب والشوق التي تتفجر بها ابيات الشعر تلك، من الجدة وكأنها حدثت امس فقط، ولس في تلك الايام البعيدة من العصور الوسطى.

جاء صوت جيروم من خلفها يقول:«تبدين مستغرقة جداً.»

جفلت ميغ وسقط الكتاب من يدها وهي تستدير إليه. كان واقفاً عند الباب يراقبها وقد وضع يديه في جيبه.

قالت بخشونة:«انك... لقد اجفلتني.»

بدا على شفتيه ابتسامة التهكم وهو يقول:«هذا واضح. هل انت عصبية دوماً هكذا؟»

قالت:«ليس هذا من عادتي.»

قال بلطف:«انني السبب إذن. انك تحيرينني، فقد كنت اظنك اقوى من ذلك، يا جميلتي.»

قالت:«انك، إذن لا تعرفني.» وعندما رأت ابتسامته تتسع، تضرج وجهها وتابعت تقول:«اعني... على كل حال، لا شيء مهم.»

قال:«ربما كنا نختلف في بعض الامور المهمة.»

اجابت:«اظننا نختلف بالنسبة لكل شيء.» واستعادت كتابها من حيث سقط، بيد ترتجف قليلاً، ثم نهضت واقفة على قدميها وهي تتابع:«حيث أنني احب الانفراد

بنفسي، فإنني ارجو ان تعيد إليّ المفتاح الذي سبق وأخذته من باب غرفتي، من فضلك.»
قال:«يؤسفني ان ارفض طلبك هذا. إذ انني اظن ان من الافضل الاحتفاظ به معي، وهذا اكثر امانا إذ انك بالنسبة الى طبيعتك المتوجسة اكثر من اللازم، قد يخطر لك ان تقفلي عليك باب غرفتك، وهذا شيء بعيد عن الحكمة لأن الاسلاك الكهربائية في هذا المنزل هي اكثر اهتراء وقدماً من كل ما في المنزل، فإذا حدث وشبت النار، فإنك ستموتين حرقاً بينما نحن نحاول ان نكسر باب غرفتك ذاك.»
قابلت ميغ تلك السخرية في صوته بوجه متحجر وهي تقول:«يوجد طريقة للموت ابشع من هذه.»
قال:«لا اظن ذلك. ام ان فكرتك هذه استوحيتها من قراءتك عن مذابح الكاثار؟»
ارتجفت بالرغم منها وهي تقول:«آه، لقد قفزت عدة صفحات مخيفة بعد محاصرة مونت ريغر.»
قال:«لا يلومك احد على ذلك.» وسكت لحظة. ثم سألها:«ما هي الصفحات التي تقفزينها الآن في هذا الكتاب؟»
اجابت:«انها قليلة جداً.» لم تكن، تريد ان تخبره بأنها تبحث عن اشعار الأوباد التي سبق وقرأها بعضها. وأشارت الى ما حولها وهي تقول:«إنه الفردوس هنا. وأنا اتساءل عما إذا كانت السيدة تعرف كم تساوي بعض هذه الكتب.»
رفع حاجبيه متهكماً وهو يقول:«هل تحسبين

الاشياء الثمينة التي يمكن بيعها لتسديد الديون؟»
شعرت وكأنه قد صفعها على وجهها، فقالت:«اؤكد لك ان اهتمامي هو مهنيا اكثر منه شخصيا.»
قال ببطء:«انك تذهلينني على الدوام، يا عزيزتي مارغوت إذ أرى اهتماماتك تنتقل من الكاثار الى السياسة والآن الى الكتب النادرة... أليس ثمة حدود لخبراتك؟»
تمتمت وقد احمر وجهها وبدا عليها الشعور بالذنب بعد ان ادركت انها كانت على وشك ان تفضح نفسها، وذلك بفضح مهنتها الأصلية، قالت متمتمة:«انني لست خبيرة. ان عندي صديق خبير بالكتب القديمة وكنت اساعده احيانا.»
قال بهدوء:«يا لها من حياة خلابة، حياتك. ما الذي بإمكاني ان اقدمه إليك لتعويضك عن خسارتك تلك، المؤقتة طبعا؟» كان ما يزال يبتسم، ولكن كان ثمة خطوط حول فمه، بينما ملامحه خالية من التعبير.
شعرت بالضيق، وأرادت ان تخرج من الغرفة لتنجو بنفسها من قربه الخطر. ولكنه كان يسد الباب بجسمه ومتعمداً، كما شعرت. قالت بهدوء:«ليس عليك ان تقدم شيئا. فأنا راضية تماما بوضعي هنا، وبجانب ذلك، فهذا الشهر مخصص للسيدة... لعمتي.»
قال بصوت أجش:«ما اجمل تفانيك في واجبك. وأمل ان تكون ممثلة جيدة. يا عزيزتي، لأنك بحاجة لكي تكوني ذلك.»
هتفت والشعور بالذنب على ملامحها:«ممثلة؟ ما الذي

تقصده؟» وفكرت يائسة في ما إذا كانت زلة لسانها الحمقاء تلك عن الكتب قد غيرت فكرته عنها، وجعلته يعرف بأنها مخادعة؟ وإذا كان الامر كذلك، فما الذي سيقوم به بهذا الخصوص؟

مد يده يمسك بذقنها بغلظة، يدير وجهها إليه، وهو يقول مستهزأ:«يا للبراءة التي يبديها تضرج وجهك هذا، بينما نحن الاثنين، نعم ان براءتك هذه مجرد رياء، أليس كذلك، يا عزيزتي؟» وانخفض صوته الى درجة الهمس وهو يتابع قائلا:«ما الذي تفعلينه هنا، يا مارغوت؟ ما الذي اغراك بالابتعاد عن عملك. عن مهنتك العالية وحياتك اللاهية، وأصدقائك الكثر، وذلك لكي تأتي لتمضي اربعة اسابيع طويلة في هذه العزلة الريفية هنا؟»

اجابت:«لقد أرسلت السيدة تطلبني.»

ضحك بخفة وهو يقول:«وهكذا تخليت عن كل شيء وكل شخص على الفور. ان الشخص يكاد يظن انك هاربة من شيءٍ ما، من وضع لم تعودي تستطيعين التحكم فيه، مثلا.»

تراجعت خطوة الى الخلف وهي تقول:«ان هربي ذاك انما مجرد تصورات منك، ايها السيد، ولا أدري ما الذي يجعلني اخضع لكل هذه الاسئلة الدقيقة منك.»

وارتفع صوتها قائلة:«ان هذا ليس من شأنك ابدا.»

قال:«انك مخطئة، ذلك ان كل شيء يؤثر على السيدة مارغريت يهمني. فكوني حذرة.»

اطلقت ضحكة سريعة وهي تقول:«تبا، لقد سبقك

اوكتافيان الى تحذيري، والآن انت ايضاً تحذرني. لقد ابتدأت اشعر بالأسف لحضوري. والآن، ارجو المعذرة، فأنا بحاجة الى بعض الهواء النقي.» وتوجهت نحو الباب المؤدي الى الشرفة، راجية ألا يكون مقفلا، ولكن مقبض الباب استدار في يدها بسهولة.

تبعها صوت جيروم قائلا بخشونة:«وأنا ايضاً اشعر بالأسف لذلك. انني اتمنى من كل قلبي، يا جميلتي، لو لم أكن قد قابلتك قط. ولكن الأوان قد فات الآن.»

لم تنظر الى الخلف، ولكن صدى كلماته ما زالت تلاحقها وهي تخرج الى الشمس. لقد قال لها ان الأوان قد فات... نعم، لقد فات الأوان حقا بالنسبة إليها، وذلك عندما أصبح قلبها اسيرا، بصورة دائمة، لجيروم مونتكورت الذي لم يكن ليضمر لها سوى الازدراء.

كان الجو حاراً والنسيم ساكناً عندما نزلت ميغ من الشرفة الى الحديقة. ولم يكن هذا المكان ذو الجو الخانق بالذي يصلح لجلوسها، رغم رغبتها في الانفراد بنفسها، كانت تفكر في ذلك، وهي تسير تفتش عن مكان ظليل تجلس فيه.

بعث في نفسها الحزن ان ترى الوهن يدب في هذه الحديقة بنفس النسبة التي يدب فيها المنزل، وذلك اثناء سيرها بين الأجمات والأعشاب البرية المتطاولة والتي تحتاج، كما اخذت تحدث نفسها، الى جيش لتشذيبها وتنظيمها. استدارت حول زاوية ثم توقفت شاعرة بالسرور وهي ترى المكان الذي قادتها إليه

خطواتها. ذلك إن شخصاً ما، قد غرس هنا، منذ وقت بعيد، ورودا من أنواع ممتازة ما زالت تتذكرها منذ الطفولة. كان ورودا غرسها والدها بنفسه في حديقته وغمرها بحبه، وهو يغذيها ويعني بها كأحد اولاده. رفعت ميغ وجهها تتنشق عبير الورود وقد غمرها الحنين.

لقد اجتثت ايريس زوجة ابيها كل هذه الورود، بعد وفاته، لتغرس مكانها ورودا مهجنة عديمة الرائحة مقاومة لأمراض النباتات، هي ترد على احتجاج إبنة زوجها باقتضاب:«ان هذه أقل إزعاجا.»

جلست ميغ على المقعد الحجري وقد عادت بها الذكريات الى زواج أبيها من ايريس بعد سنوات من ترمله، لقد تزوجها في خلال اسابيع قليلة من تعارفهما، غامراً إياها بعواطفه المحمومة التي لم تسمح له برؤية عيوبها. وفكرت ميغ بحزن، في ان شعوره بالوحدة هو الذي جعله يغرق في حبها بهذه السرعة والعنف، وكان في هذا درس لها هي ايضا، يجب ألا تنساه مهما كان وضعها.

حدثت نفسها بأنها هي ايضاً تشعر بالوحدة، وجيروم مونتكورت هو الرجل الوحيد الذي اظهر اهتماما بها. ولكنه إنما كان يسلي نفسه لا غير وعليها ألا تنسى ذلك. فهي ترى بنفسها النهاية التعسة لمثل هذا الحب.

اعترفت ان ايريس قد اسعدت اباها في السنوات الاخيرة من حياته، وهذا فقط ما يجعلها شاكرة لها.

إذ ان هذه، ما ان صارت ارملته ووضعت يدها على املاكه، حتى تغيرت كليا، وقضية المربية والبيت الذي تريد الآن اخراجها منه، متجاهلة وصية زوجها لها، هذه القضية هي مثال لتصرفاتها تلك.

قالت تناجي أباها وقد تملكها الحزن:«آه، يا أبي. لماذا لم تترك هذه الوصية كتابة بدلا من ان تثق بزوجتك الى هذا الحد؟ فلو كنت فعلت، لما كنت انا هنا الآن، على وشك ان اصبح محطمة القلب...»

وغامت امام عينيها تفاصيل الورود وهي تغطي وجهها بيديها. تنشج بالبكاء كما لم تبك منذ سنوات، ذلك ان الضياع امتزج بإثارة عواطفها من ناحية جيروم.

«مارغريت.»

ولأن التفكير في جيروم كان مستحوذاً على كيانها، فقد خالت هذا الصوت من تصوراتها. ولكن اللمسة الخفيفة على كتفها جعلت الامر حقيقة. ورفعت ناظريها إليه، وهي تشهق، لتراه واقفا كتمثال قاتم في وهج الشمس.

قالت:«ماذا تريد؟»

تأملها عابسا وهو يقول:«لقد طلبت مني السيدة ان ابحث عنك، ما الذي حدث؟ هل أتتك اخبار سيئة من منزلكم؟»

كانت قد نسيت المخابرة الهاتفية التي فشلت في إجرائها، فتحركت وهي تبعد يده عن كتفها قائلة:«كلا. لا شيء هناك.»

قال:«ليس من يبكي بهذا الشكل للا شيء.» وأخرج

من جيبه منديلاً نظيفاً ناولها إياه، ناظراً إليها وهي تمسح الدموع عن وجهها. وتنشقت رائحة الكولونيا التي يضعها بعد الحلاقة، وكبحت آهة كادت تفلت منها إذ كانت تدرك انه يحدق فيها.

قال بلطف:«لا اظن انك كنت صادقة تماماً معي، ياجميلتي.»

كاد يتوقف قلبها عن الخفقان وهي تقول:«ماذا تعني؟»

اجاب:«لأنك سبق وقلت ان ليس ثمة رجل في حياتك، في بلادك.» واشتدت لهجته وهو يتابع:«ولكن هذا كان كذباً، لأن مثل هذه الدموع هي لأجل رجل. أليس كذلك؟ أجبيني يا مارغوت. اخبريني بالحقيقة، هذه المرة.»

صعدت الى شفتيها كلمات تحوي إنكاراً غاضباً ولكنها سرعان ما ردتها وهي تفكر في أنه، إذا هو ظن انها تحب شخصاً آخر فإن هذا يمنحها ستاراً تتوارى خلفه... عذراً هي في حاجة ماسة إليه لكي تبقيه بعيداً عنها.

ابعدت شعرها عن وجهها وهي تنظر إليه قائلة بلهجة واضحة:«نعم. انني ابكي لأجل رجل أحبه. انني اعترف بذلك.» ولقد كانت هذه هي الحقيقة، على كل حال، وعلى جيروم ان يفسر كلامها هذا كما يشاء، فهذا شأنه هو. وتابعت تقول متحدية:«هل انت راضٍ الآن؟»

قال لاوياً شفتيه:«طبعاً، ما دمت جعلتك تؤكدين لي ما سبق وعرفته.»

قالت:«هل لك ان تتركني وحدي الآن؟»

هز رأسه قائلاً:«هذا مستحيل. ونحن الاثنين نعرف هذا.» والتقط كتاب الشعر الذي كان قد سقط منها على العشب بجانبها، وناولها إياه وهو يتابع قائلاً:«ان السيدة تريد منا ان نذهب غداً الى مدينة ألبي، لنسوي مسألة السيارة.»

قالت بحدة:«شكراً، ولكن في استطاعتي ان اقوم بهذا العمل بنفسي. انني لا اريد حارساً بجانبي.»

رفع حاجبيه قائلاً:«وكيف ستذهبين الى هناك؟»

اجابت:«اظن هنالك مواصلات عامة.»

اجاب:«نعم، هناك باص، ولكن ليس غداً.»

عضت على شفتيها قائلة:«سأستعمل، إذن، سيارة السيدة. فإن احد الاسباب لقدومي هنا هو قيادة سيارتها.»

قال:«نعم هذا صحيح. ولكنني اريد ان اطمئن شخصياً الى أهليتك في قيادة سيارتها.»

قالت وهي تهب واقفة:«كيف تجرؤ على قول هذا؟ إنك تعلم ان بإمكاني قيادة السيارة. وقد كنت اقود سيارة عندما تقابلنا.»

قال:«كلا، بل كنت واقفة في الطريق في انتظار شجرة تسقط عليك، يا جميلتي. وهذا لا يدل على شيء. ان خالتك تريدني ان اصحبك غداً لنتأكد من ان كل شيء على ما يرام. والآن، إذا كنت لا تريدين مواصلة هذه المجادلة العقيمة، فأنت حرة في الذهاب إليها.» وعندما استدارت ميغ مبتعدة عنه،

www.rewity.com PAY AHEEN

سمعت صوته وهو يضيف قائلاً بهدوء:«هذه المرة.»
في غرفة السيدة دي بريسو، كانت مصاريع النوافذ مغلقة، وسرت ميغ للعتمة الخفيفة التي تسود المكان والتي تستر آثار الدموع على وجهها، وكانت السيدة مستلقية على السرير، مستندة الى الوسائد خلفها، وقد غطت ساقيها بشال من الحرير. كانت قد وضعت نظارتها القاتمة جانبا بينما بدا الارهاق على وجهها. حيّت ميغ بابتسامة باهتة وهي تقول:«تعالي واجلسي بجانبي، يا عزيزتي.» ومدت يدها تقبض على يد ميغ بشدة وهي تستطرد:«ان وجودك هنا حسن جدا إذ منحنا الفرصة لنكون اصدقاء. أليس كذلك؟»
قالت ميغ بسرعة:«نعم... نعم، طبعا.» ولكن شعورها بخداعها اشتد وقعه على نفسها.
عادت السيدة تقول:«ان هذا يجعلني سعيدة.» وسكتت برهة ثم استطردت قائلة:«ان جيروم كان متشككا بالطبع، بالنسبة لطريقة حياتك في انكلترا، والفرق بين عمرينا. وقد شعر أنه كان عليّ ان استشيره قبل ان ارسل بدعوتك.»
قالت ميغ:«يبدو ان السيد جيروم مونتكورت يريد ان تكون كل الامور، هنا حسب مشيئته.»
قالت السيدة بعد فترة صمت:«كانت اسرتنا وأسرته دوما جيرانا. وقد كنت... سعيدة جدا حين عاد ليقيم في منزله، فقد بقي المنزل سنوات طويلة دون رجل. وكانت عودته نعمة عليّ، لأنني اصبحت استطيع ان استعين بخبرته في خطتي لإصلاح ما أفسده الاهمال

الطويل في هذا المنزل.» ابتسمت وهي تتابع:«وهو قد جدد حيويتي ايضا.»
حدقت في ميغ بعينيها الكليلتين وهي تستطرد:«ربما تتساءلين عما جعل الامور تتأخر طيلة ذلك الزمن، ولماذا لم تكن الاصلاحات الضرورية تجري في المنزل كما يجب.»
قالت ميغ:«قد خطر لي هذا فعلاً.»
قالت السيدة ببطء:«لم تكن تلك رغبتي ولكن زوجي لم يكن ليسخو بالمال في سبيل اصلاح المنزل، ذلك انه عندما ادرك أننا لن نرزق اولادا، وأنه سيكون آخر فرد في سلالته، بدا وكأنه قد فقد كل اهتمام بالمنزل، وكأنما كان يريده ان ينمحي من الوجود. ولم يكن بإمكاني اقناعه بغير ذلك، بأي وسيلة.»
قالت ميغ بحرارة:«إن هذا امر معيب حقا. كيف أمكنه التصرف بهذا الشكل؟»
هزت العمة كتفيها وهي تقول:«اظن ان المسألة كانت بالنسبة إليه، كما قالت السيدة دي بومبادور (من بعدنا الطوفان). لقد كان اهتمام هنري منصرف الى امور اخرى.»
قالت ميغ:«ولكن من الممكن ان يصبح مثل هذا المكان رائع الجمال.»
قالت العمة بقوة:«وسيصبح كذلك. ان جيروم هو خبير في الإصلاح والترميم. وسيعود قصر هاوت أرينيك متألقا كما كان وسترين.»
قالت ميغ بحذر:«ارجو ذلك.»

قالت العمة وهي تلوي شفتيها:«لا يبدو عليك الاقتناع بهذا الكلام، يا عزيزتي. ولكن، عليك ان تثقي به، انني اريدكما ان تكونا صديقين.» ثم أضافت بإلحاح:«وهذا شيء يهمني جداً.»

قالت ميغ بهدوء:«انني لا اعرف في الحقيقة، ما إذا كان هذا ممكناً.»

اشتدت اصابع العمة على يدها وهي تقول:«هل الأمر سيء الى هذا الحد؟ لقد كان صوت وقع خطواتك وأنت قادمة الى غرفتي، مضطرباً، كما تراءى لي. وكذلك يدك كانت ترتجف قليلاً. هل كان جيروم يضايقك؟»

عضت ميغ شفتها وهي تقول:«يمكنك ان تقولي هذا.» ومع انها مسحت عينيها من الدموع جيداً، فإنها سرّت لعدم استطاعة السيدة ان ترى وجهها.

ضحكت السيدة دي بريسو وقالت بعطف بالغ:«ان ذلك الفتى لا يمكن تقويمه، فهو مولع بالإغاظة. إنه يشبه جده في صفات كثيرة، كما يحمل اسمه ايضاً.» وتنهدت وهي تتابع:«ولكنه طبعاً، لا يضمر لك أي ضرر. ويجب ان تثقي بكلامي. كما إن لقاءكما الغريب ذلك اثناء تلك العاصفة، كان شاعريا تماما. ألا تظنين ذلك؟»

حنت ميغ رأسها تجيبها:«لقد كنت في حالة من الرعب بحيث لم ألحظ ذلك.»

تركت السيدة يد ميغ برقة، وهي تقول:«ولكن شكراً على سلامتك في ذلك الحين. وطبعاً الشكر لجيروم. ان الصينيين يعتقدون انك إذا انت انقذت حياة احد،

فإنك ستبقى مسؤولاً عن تلك الحياة الى الأبد.»

ارغمت ميغ نفسها على الابتسام قائلة:«حسنا. ان في إمكاني العناية بنفسي. وهذا ما كان عليك ان تهتمي به، إذ ان هذا الوقت هو وقت راحتك، كما اظن.»

تجهمت ملامح السيدة وقالت:«لم يكن من السهل عليّ هذا النهار، ان انام، وذلك لشدة سعادتي بوجودكما، انت وجيروم، معاً تحت هذا السقف.» وتنهدت وهي تتابع قائلة:«ان عقلي مشتت.»

سألتها ميغ برقة:«هل تريدينني ان اقرأ لك؟ ان الصحف لم تصل بعد، ولكنني وجدت كتاب شعر رائعاً في المكتبة.»

بدا وكأن السيدة جفلت قليلاً وهي تقول:«احقاً؟ ايمكن ان تعطيني إياه؟»

وضعت ميغ الكتاب بين يديها، فأخذت هذه السيدة تقلبه وتتحسسه برقة بالغة. ثم قالت:«ثمة قطعة من الشعر تبتدىء بكلمات هي: (حبي الوحيد حبيبتي التي تسعدني) هل يمكنك ان تجديها، ياعزيزتي؟»

استلقت الى الخلف مغمضة عينيها، عندما ابتدأت ميغ تقرأ بشيء من الصعوبة في البداية، وتعثر لسانها ببعض الكلمات والجمل الصعبة المهجورة. وعندما انهت اول قطعة اتبعتها بأخرى،وهي تخفض من صوتها شيئاً فشيئاً، الى ان انتظم تنفس السيدة دي بريسو معلناً استغراقها في النوم.

تركت ميغ الكتاب يسقط في حجرها، ومضت تتأمل ذلك الوجه النبيل اثناء سكونه، ورأت ان هيكل السيدة

قد تحدى الأيام. ولم يكن هناك شك في أنها كانت رائعة الجمال في زمن مضى. ورأت آثار دموع الوحدة والعزلة، على خديها.

ألقت نظرة على الكتاب، وهي تتساءل عما إذا كان فيه ما يذكرها بزوجها الراحل، لما أحدثه من ردة فعل عندها حينما ابتدأت هي تقرأ لها فيه، ربما كان هذا الكتاب له. او ربما كان يشير الى علاقة غرامية غامضة... وفتحت الكتاب على الصفحة الداخلية البيضاء لتجد كتابة، بخط اليد بهت لونها بمرور الزمن ولكنها ما زالت مقروءة. وكانت تقول، ببساطة (الى مارغيت. من كل قلبي... ج.)

حدقت ميغ في هذا الحرف (ج) الموقعة به هذه الكتابة. ولكن السيد دي بريسو، زوجها، كان اسمه هنري، وأغلقت الكتاب وقد ساورها شعور بالضيق في انها اقحمت نفسها في مسألة خاصة جدا. ولكن ليس كما تصورت هي. وبدا عليها خيبة الأمل. إذ بدا لها، تبعا لما سبق وأخبرتها هذه المرأة المسنة، انها قد تركت، وشأنها، فترة طويلة. هل معنى هذا ان السيد دي بريسو قد اهمل زوجته الانكليزية بنفس الطريقة التي أهمل بها منزله...؟

عاودها صوت اوكتافيان الخشن يقول بنفور وكراهية (انكليزية) اوكتافيان الذي خدم جيروم الأول... جيروم مونتكورت الآخر الى ان ترك هذا المنزل دون عودة.

ازدردت ريقها، وهي تتذكر بعض الكلمات الغرامية الملتهبة، والتي تشكو الحرمان وفقد الحبيب التي

قرأتها منذ فترة، بصوت عال. هل كان هذا ما حدث؟ كانت تتساءل بذهول، عما إذا كان جد جيروم قد وقع في غرام جارته الجميلة الوحيدة، ليتخلى عنها، بعد ذلك، متملصا من كل ارتباطاته. لم تكن تعرف ما الذي حدث بالضبط بالنسبة لهذه الورطة، في ذلك الحين، ولكنها تعرف ان الطلاق، في ذلك الحين، لم يكن سهلا ابدا.

هل كان هذا هو السبب في إن يرغم جيروم الجد على ان يهجر منزله ليعيش في المدينة؟ وهل هذا هو سبب كراهية اوكتافيان المرة لكل ما هو انكليزي؟ وهو ان سيده المحبوب ارغم على الرحيل بسبب تورطه مع انكليزية؟

كان كل هذا معقولاً الى درجة مروعة، وهي تفسر عاطفة السيدة دي بريسو وثقتها في جيروم الحالي.

عادت الى ذاكرتها كلمات فيليبين (إنه كالابن الذي لم تحصل عليه قط). وتوقف قلبها عن الخفقان وهي تفكر في انها هي، طبعا، كانت ابنتها الروحية المنسية، او كما تفترض السيدة بها على الأقل. فتاة استدعيت الى هذا المكان بالذات، وفي هذا الوقت بالذات، ولكن، لأي سبب؟

ازدردت ريقها وهي تفكر في كلمات السيدة، (اريدكما ان تصبحا صديقين. وهذا شيء يهمني جدا).

وفكرت ميغ في انها ربما كانت مبالغة في تصوراتها، ولكن هل من الممكن ان يكون وراء دعوة السيدة لمارغوت غرضا اعمق مما تصورته هذه؟

الابن الذي لم تنجبه قط، والفتاة التي فقدت الاتصال بها، جمعتهما معاً تحت سقف واحد، كما اعلنت العمة، منذ برهة، وهي في غاية الابتهاج، لتلقي بالواحد منهما بين ذراعي الآخر مدة اربعة اسابيع كاملة تحت شمس لانغيدوك الملتهبة. هل كانت هذه خطة السيدة السرية؟ الحلم الشاعري بإعادة خلق الماضي؟ وللاطمئنان الى ان ميراث هاوت ارينياك سيستمر الى الجيل القادم؟ إذا كان الامر كذلك، فهو جنون محض محكوم عليه بالفشل لعدة اسباب، السبب الأول هو، بالطبع، الوضع المخادع لميغ والذي يسبب لها ندما هائلا. اما السبب الثاني فهو، الصديقة القديمة التي اتصلت به عند وجودها في مسكنه. ذلك ان الدفء الذي كان في لهجته وهو يتحدث إليها، لا تخطئه. اذن، كان واضحاً من ان ثمة علاقة عاطفية متينة تربط بينه وبين المرأة الاخرى.

ولكن، الى أي حد يعرف جيروم خطة العمة إذاكانت موجودة فعلا خارج تصوراتها؟ وإذا كان يعرف فهل هو يقبل مثل هذا الزواج المدبر، من غريبة؟ وذلك في سبيل ان يصبح سيد قصر هاوت ارينياك؟ وذكرت نفسها، وهي ترتجف، كيف ابتدأ محاولاته لإيقاعها في حبه.

وبعد، ما الذي تعرفه هي عنه؟ في الحقيقة، لقد كان غامضاً منذ البداية. كان جسماً قاتماً إنبثق عن العاصفة بنفس الخصائص التدميرية.

لقد كانت دوماً في انتظار ذلك الحب الذي سيطرق

قلبها بكل رقة وعذوبة، متطوراً من صداقة، تغذيه ميول مشتركة. وليس مثل هذا الشعور الكاسح المعذب المحطم للقلب والحافل بالرغبة والذي لا يشاركها به، وليساعدها الحظ. كانت تلك هي الحقيقة المرة التي عليها ان تتمسك بها مهما كلفها ذلك، دون النظر الى اي اعتبارات اخرى.

شوقه، لهفته، كل هذا لم يكن لها قط، بل كانت لمارغوت ترانت وعندما تتذكر هذا، يمكنها عند ذاك ان تحفظ نفسها بأمان.

بهدوء، وضعت الكتاب على المنضدة بجانب السرير، لتخرج بعد ذلك من الغرفة على رؤوس اصابعها.

الفصل الثامن

انهت ميغ قهوتها، وآخر قطعة من البسكوت التي قدّمت معها، فقد كانت مسرورة بجلوسها هناك تحت المظلة في ذلك المقهى على الشارع، لتراقب المارة. ولكن الوقت قدٍ حان الآن لكي تذهب لملاقاة جيروم، كما كان مقرراً، خارج الباب الجنوبي للمعبد.

تنهدت وهي تشعر بالانفعال يجتاحها. لم يكن بإمكانها تجنب مرافقته هذاالنهار. فقد أدلت برأيها في إمكان استقلالها، وذلك على مائدة العشاء، في الليلة السابقة، ولكن السيدة كانت شديدة العناد في ان يرافقها الى مدينة آلبي قائلة لها:«فقط، بالنسبة لأول مرة يا عزيزتي.»

استمتع جيروم بخيبتها هذه، ثم تمنى لهما ليلة طيبة بعد العشاء مباشرة، ليخرج بعد ذلك. ولم تسمح ميغ لنفسها بالتكهّن بالمكان الذي قد يكون ذهب إليه، او من عسى ان يكون مرافقا، في الليلة الهادئة.

كان الاضطراب لا يزال يتملكها وهي تنطلق من آرينياك في الصباح الباكر، تقود سيارة الستروان التي ما زالت لشدة العناية بها بحالة رائعة رغم قدمها.

لقد قال جيروم، اخيراً، بأدب:«إذا شئت ان تصلي الى آلبي هذا النهار، يا جميلتي فعليك إن تتابعي القيادة دون ان تستمري في اعتباري مراقبا عليك.»

انتهت الاجراءات المعتادة للسيارة المستأجرة بسرعة

دون ان يغفلوا عن تقديم التهاني لها بنجاتها من هذا الحادث.

فكرت عابسة في نجاتها والتي كانت اشبه من الذي ينجو من المقلاة، ليقع في النار.

انتابها الأرق هذه الليلة، وأخذت تفكر ما إذا كان من الافضل ان تكشف اللعبة التي تقوم بها، قبل ان يزداد الضرر. ولكن تفكيرها في الوقع الذي سيكون لهذا، والذي لا يمكن تجنبه، منعها من ذلك. كان عليها ان تبقى على صمتها لأجل مصلحة مربيتها... وكذلك لأجل السيدة دي بريسو، إذ ان العمة ستكون في غاية الاستياء عندما تعلم ان ابنتها الروحية قد استعملت الابتزاز لكي تجعل فتاة اخرى تحل مكانها في مرافقتها، وستتألم ايضا. ويكفي مقدار الحزن المرتسم على وجهها الآن.

ربما لا تريد ان تعلم ان مارغوت الحقيقية فتاة أنانية تبحث عن المال، وتحب رجلا متزوجا، وان هذا هو السبب في هذه التمثيلية الخادعة. وان من الافضل ان تبقى العمة على هذا الوهم اطول وقت ممكن. باستثناء الوقت الذي ستتورط فيه مع جيروم في المستقبل. عليها ان تذكر دوما هذه المقررات. إلا إذا كان الأمر كله مجرد تخيلات منها...

خاطبت نفسها بعناد، إنها لا تظن ان الامر إنما هو تخيلات منها. ونظرت في ساعتها، ثم اشارت الى النادل ليحضر لها قائمة الحساب. وقبل ان تنصرف الى موعدها بجانب المعبد، كان عليها ان تتصل

www.rewity.com RAYAHEEN

الفصل الثامن

انهت ميغ قهوتها، وآخر قطعة من البسكوت التي قدّمت معها، فقد كانت مسرورة بجلوسها هناك تحت المظلة في ذلك المقهى على الشارع، لتراقب المارة. ولكن الوقت قدٍ حان الآن لكي تذهب لملاقاة جيروم، كما كان مقرراً، خارج الباب الجنوبي للمعبد.

تنهدت وهي تشعر بالانفعال يجتاحها. لم يكن بإمكانها تجنب مرافقته هذاالنهار. فقد أدلت برأيها في إمكان استقلالها، وذلك على مائدة العشاء، في الليلة السابقة، ولكن السيدة كانت شديدة العناد في ان يرافقها الى مدينة آلبي قائلة لها:«فقط، بالنسبة لأول مرة يا عزيزتي.»

استمتع جيروم بخيبتها هذه، ثم تمنى لهما ليلة طيبة بعد العشاء مباشرة، ليخرج بعد ذلك. ولم تسمح ميغ لنفسها بالتكهّن بالمكان الذي قد يكون ذهب إليه، او من عسى ان يكون مرافقا، في الليلة الهادئة.

كان الاضطراب لا يزال يتملكها وهي تنطلق من آرينياك في الصباح الباكر، تقود سيارة الستروان التي ما زالت لشدة العناية بها بحالة رائعة رغم قدمها.

لقد قال جيروم، اخيراً، بأدب:«إذا شئت ان تصلي الى آلبي هذا النهار، يا جميلتي فعليك إن تتابعي القيادة دون ان تستمري في اعتباري مراقبا عليك.»

انتهت الاجراءات المعتادة للسيارة المستأجرة بسرعة

دون ان يغفلوا عن تقديم التهاني لها بنجاتها من هذا الحادث.

فكرت عابسة في نجاتها والتي كانت اشبه من الذي ينجو من المقلاة، ليقع في النار.

انتابها الأرق هذه الليلة، وأخذت تفكر ما إذا كان من الافضل ان تكشف اللعبة التي تقوم بها، قبل ان يزداد الضرر. ولكن تفكيرها في الوقع الذي سيكون لهذا، والذي لا يمكن تجنبه، منعها من ذلك. كان عليها ان تبقى على صمتها لأجل مصلحة مربيتها... وكذلك لأجل السيدة دي بريسو، إذ ان العمة ستكون في غاية الاستياء عندما تعلم ان ابنتها الروحية قد استعملت الابتزاز لكي تجعل فتاة اخرى تحل مكانها في مرافقتها، وستتألم ايضا. ويكفي مقدار الحزن المرتسم على وجهها الآن.

ربما لا تريد ان تعلم ان مارغوت الحقيقية فتاة أنانية تبحث عن المال، وتحب رجلا متزوجا، وان هذا هو السبب في هذه التمثيلية الخادعة. وان من الافضل ان تبقى العمة على هذا الوهم اطول وقت ممكن. باستثناء الوقت الذي ستتورط فيه مع جيروم في المستقبل. عليها ان تذكر دوما هذه المقررات. إلا إذا كان الأمر كله مجرد تخيلات منها...

خاطبت نفسها بعناد، إنها لا تظن ان الامر إنما هو تخيلات منها. ونظرت في ساعتها، ثم اشارت الى النادل ليحضر لها قائمة الحساب. وقبل ان تنصرف الى موعدها بجانب المعبد، كان عليها ان تتصل

www.rewity.com RAYAHEEN

هاتفياً من المقهى. وكانت العمة قد سألتها ليلة أمس عما إذا كانت قد أجرت الاتصال الهاتفي مع منزلها في لندن، وقد دلتها على الهاتف الذي في الصالة. وكانت تخشى من ان تسمع العمة حديثها بأجمعه بما قد يتضمنه اشياء مجرجة، ولكنها شعرت بالارتياح إذ وجدت الخط مشغولاً مرة اخرى.

عندما حاولت مرة اخرى، هذا الصباح من المقهى، استغربت لأن تجد نفس النتيجة. ولما حاولت مرة اخرى، ان تتصل بمربيتها قابلها الخط بعدم الجواب.

حدثت نفسها، وهي تضع السماعة، بأنها قد حاولت على كل حال، ولكن كان عليها ان تكرر ذلك من القصر اثناء راحة العمة في غرفتها، إذا امكنها ذلك.

وجدت جيروم في انتظارها عند المدخل الجنوبي لذلك المعبد. سألته:«هل تراني تأخرت؟»

اجاب:«ان مواعيدك دقيقة بشكل رائع.» ثم سألها وهو ينظر الى المعبد ببنائه الضخم ذي القرميد الأحمر:«هل تريدين ان تري متحف رسومات لوتريك؟»

دهشت ميغ وقالت:«ظننت اننا سنعود الى المنزل مباشرة؟»

رفع حاجبيه قائلاً:«لماذا؟ انها مدينة رائعة الجمال.»

اجابت:«انني متأكدة من ذلك، ولكن هذا لا يعني اننا نحن الاثنين، بإمكاننا ان نمضي النهار هنا.»

سكت لحظة، ثم قال:«هل نعلن بيننا هدنة، يا مارغوت، لكي اريك المدينة؟»

فكرت في انه لم يحاول استنكار قولها ذلك. ونظرت

الى ابتسامته الهازلة وعينيه المتألقتين، شاعرة بقلبها يتوثب بين اضلعها. قالت:«حسناً، فليكن ذلك.»

كان متحف الرسام لوتريك قائماً في باليه دي لابيربي وهو قصر قديم.

قالت ميغ وهي تنظر الى رسوم المولان روج الصاخبة:«انني اشعر تقريبا وكأنني اجتمع بأصدقاء قدماء.»

سألها:«اتعجبك؟»

اومأت برأسها قائلة:«نعم، ربما لأنها مألوفة لديّ ولكنني في الحقيقة، افضل تلك الرسوم التي سبق ورأيناها قبل هذه والتي تمثل افراد اسرته وأصدقائه. انها اكثر هدوءا وتأثيرا في النفس.» وتنهدت وهي تتابع:«انني إتساءل عما كانت ستؤول عليه حياته، لو لم يكن معاقا.»

قال:«ربما، عند ذلك، كان سيعيش حياة تقليدية فيتزوج وينشيء اسرة، فتصهر بعض عواطفه المحمومة التي وضعها في فنه هذا، لتتلاشى في نشاط حياته الاعتيادية تلك.»

قالت ميغ بشيء من الاكتئاب:«ربما الافضل لو كان امضى حياة سعيدة.»

قال:«ولكن النهايات السعيدة ليست ممكنة، على الدوام، ألم تتعلمي ذلك بعد؟»

فكرت، وهما يخرجان الى اشعة الشمس مرة اخرى، في انها لم تتعلم ذلك رغم انها سائرة فعلاً الى تلك النهاية غير السعيدة.

اخذها الى القسم القديم من المدينة، حيث جالت

فيها تكتشف انحاءها بسرور بالغ، خصوصاً وهما يجتازان الأزقة الضيقة ببيوتها الخشبية الجاثمة على حافة النهر مبنية كلها من الحجارة الحمراء الوردية.
قال جيروم:«إن مدينة ألبي اعطت اسمها للذين غزوا المدينة، وهكذا صاروا يدعون البيجنزيان.. وقد بقي بعض الكاثار وآثارهم في هذه المدينة بالرغم من المذبحة الكبرى المدعوة مونت زيغر.»
قالت متألمة:«ومع ذلك، لا يبدو أثر للحزن هنا، يبدو ان مدينة ألبي قد تصالحت مع ماضيها.»
قال:«كل شيء يمحوه الزمن.»
هزت رأسها ساهمة... نعم، وكذلك يمحو الزمن آلام الحب، وتعاسته، وحماقاته...
قال بنشاط:«والآن، الى الغداء.»
عضت شفتها قائلة:«وهل لدينا الوقت لذلك؟ أليس علينا ان نعود الى المنزل؟»
قال متصنعا الخوف:«في مثل هذاالوقت من النهار؟ عليك ان تتعلمي التفكير كامرأة فرنسية، يا عزيزتي.»
امسك بذراعها يقودها بين جموع السائحين المتسكعين على الارصفة.
اجابته بجمود:«لا اظن ما قلته ضرورياً، فأنا سأعود الى ديارى بعد فترة قصيرة.»
اجاب:«ربما استطعنا اقناعك بالبقاء مدة اطول.»
هزت رأسها قائلة دون ان تنظر إليه:«لا اظن ذلك.»
قال:«انك تقولين ذلك الآن، ولكن من يعلم ما يخبىء القدر لنا نحن الاثنين؟»

تجاهلت كلامه، وبقيت على اصرارها قائلة:«على كل حال، انا لست جائعة.»
قال باختصار:«حسناً، انا جائع، ويمكنك ان تجلسي وتتفرجي علي.» ومد يده بثبات انما برقة في الوقت نفسه، مما لم يدع لها خياراً إلا بالسير معه.
اخذها الى مطعم صغير في شارع جانبي ضيق مزدحماً بالزبائن. ووجدت نفسها تجلس على مقعد مستطيل بجانب جيروم حيث اخذا يستطلعان انواع الطعام المخطوطة باليد على القائمة.
كانت ميغ قد قررت ان تبقى بمعزل عن كل هذا، ولكن رائحة الطعام الآتية من المطبخ حرك شهيتها. وبإرشاد جيروم، وجدت نفسها امام طبق من الرافيولي، تبعه طبق من لحم الخروف مطبوخاً بالثوم والتوابل.
عندما انتهت من الطعام، قالت:«يبدو انني لا أقوم بشيء سوى الأكل.»
قال وعيناه تبتسمان لها من تحت اهدابهما الكثيفة:«ان زيادة قليلة في الوزن تناسبك. وإنما ليس كثيراً، طبعاً.»
شعرت بالدم يتصاعد الى وجهها، ورفعت كوب العصير الى فمها تداري بذلك اضطرابها.
قال لها:«ما اسرع ما يتضرج وجهك. ما كنت متوقعاً ذلك.»
قالت:«وما الذي كنت تتوقعه؟»
بقي صامتاً لحظة، ثم قال:«كيف يمكنني ان اشرح الأمر. صحيح ان ما كانت تتذكره السيدة دي بريسو

عن طفولتكِ جعلني... أهتم بالأمر، ولم اشأ لها ان تأمل خيراً من إعادة الصلة.»
سألته:«هل ظننت بأن أملها سيخيب؟»
هز كتفيه قائلاً:«كان هذا ممكناً، ذلك انها لم ترَكِ منذ كنت طفلةٍ، وكان انطباعها عنك غير حسن.»
قالت:«تباً... هل كانت تصرفاتي مخيفة؟»
قال:«انها تتذكر انك كنت مدللة. اكثر نضجاً من سنك. تتطلبين الصدارة في كل شيء وتركيز الآخرين اهتمامهم في شخصك وتفرضين اراءك وحدها في كل أمر.»
قالت باشمئزاز:«وبكلمة مختصرة، طفلة فاسدة، ولكنني اظن ان تلك مرحلة من العمر يمر بها كل شخص.»
وفي نفسها، فكرت في ان البعض لا يتغير تماماً مثل مارغوت الأنانية عديمة الرحمة، ورفعت إليه نظرها وهي تقول:«لا اظنك تحاسبني على هذا، أم ان هناك شيئاً آخر؟»
بقيت ملامح وجهه خالية من التعبير وهو يقول:«وماذا يمكن ان يكون هناك؟ ان كل ما يهمني هو حماية السيدة مارغريت. فقد لاقت من الشقاء في حياتها ما يكفي.»
حدقت لحظة في غطاء المائدة الابيض النقي، ثم قالت:«هل تعرف زوجها؟»
هز رأسه بالنفي قائلاً:«اعرفه من خلال ما سمعت عنه فقط. فقد توفي منذ سنين كثيرة.» ودلت لهجته على

انه يعتبر وفاة هنري دي بريسو ليس أمراً ذا شأنٍ.
قالت ميغ بعنايةٍ:«فهمت أن زواجهما لم يكن ناجحا.»
اجاب عابساً:«لقد كان كارثة، لقد كان حبهما عبارة عن افتتان عابر اشتعل ثم خمد في خلال سنة واحدة، تاركاً إياهما مقيدين الواحد بالآخر. لقد كان هنري يكره الحياة في الأرياف، وهكذا ترك مارغريت وحدها في القصر لتعتني بإرثه، بينما امضى هو حياته بين ميادين السباق والنوادي. وكان يعود الى المنزل عندما يحتاج الى نقود فقط. وكانا، احيانا يصلان الى تسوية سرعان ما يتملكه بعدها الضجر، فيرحل.»
سألته بشيء من الدهشة:«هل اخبرتك هي بكل هذا؟»
تردد قليلاً، ثم قال:«كلاّ... اخبرتني ببعضه فقط.»
رشفت ميغ بعض القهوة وهي تفكر في ان استنتاجاتها بهذا الشأن لم تكن بعيدة عن الحقيقة. وإذا لم يكن جيروم قد استقى معلوماته الحزينة هذه عن زواج العمة مارغريت من جده، فمن أين سيستقيها إذن؟»
قالت:«لقد اوضحت لي العمة السبب في تعرض القصر للإهمال، بهذا الشكل وهو... حسناً، ان تصميمها على ان تقوم الأن بإصلاحه، هي فكرة حسنة.»
قال بلهجة جافة:«انها ممتازة.»
قالت:«انني اتساءل عن السبب الذي جعلها تنتظر حتى الآن؟»
هز كتفيه قائلاً:«الافضل ان تسأليها هي عن ذلك.» ولم تكن لهجته مشجعة. اخذت تتابع بأصبعها

الصور التي تزين صحن فنجانها، لحظة، ثم عادت تقول:«أظن... اظن ان العمة تحاول ان تعيد الماضي الى الحاضر نوعاً ما.» وازدردت ريقها وهي تتابع:«هل تعرف انت هذا؟ هل يمكنك ان تفهم قصدي؟»

قال دون ان يظهر على وجهه أي تعبير:«أظن ذلك.»

قالت:«شعرت بأنك تعنيك.» وجف فمها فجأة وهي تتابع:«يجب ان اخبرك بأن ما تريده العمة هو مستحيل. ولا يمكن ان يحدث.» وازدردت ريقها مستطردة:«اظن هذا واضح.»

قال جيروم وهو يشير الى النادل طالباً قائمة الحساب:«ليس بك حاجة لهذا.»

قالت:«بل ثمة حاجة، ذلك ان الامر سخيف لا يقبله عقل.»

قال بابتسامة صغيرة:«سخيف جداً يا جميلتي، فلا تزعجي نفسك بالنسبة الى ذلك بعد الآن.»

قالت:«ولكن كان عليّ ان آتي على ذكر ذلك لأنه إذا كان عليّ ان اشتغل معك بطباعة تلك الاوراق، فسنكون مرغمين على قضاء وقت طويل معاً.»

قال جيروم وهو يعد الاوراق المالية:«كما تشائين، وسنبدأ العمل اليوم بعد الظهر.»

غاص قلب ميغ، ولكنها تمالكت نفسها لتقول:«اردت بهذا ان يكون هناك اساس مهني لعلاقتنا من الآن وصاعداً.»

قال:«كعلاقتك مع مخدومك؟»

عضت على شفتها قائلة:«طبعاً.»

قال:«اتريدين ان تخبريني انك اشتغلت مع هذا الرجل كل ذلك الوقت وهو الشاب الوسيم ذو النفوذ، دون ان تسألي نفسك عما تراه يكون كحبيب؟ ام انه لم يلحظ جمالك وجاذبيتك، او انه لم يحاول ايقاظ مشاعرك الراقدة؟»

قالت وهي ترتعش:«صدق ما تشاء. ان ما اريد ان اقوله، هو انني لا اريد ان اشعر بأي ضيق اثناء عملي معك، وإذا لم توافق على هذا، فإن أي تعامل بيننا في حكم المنتهي، وسأخبر العمة بالسبب.»

التوى فمه وقال:«عجباً، اتظنينها ستستاء؟ ربما بالنسبة الى احلامها الحمقاء عنا، سيسرّها ان تعلم انني اريدك.» والتقت عيناه بعينيها وهو يتابع:«إعادة الماضي الى الحاضر. أليس هذا كلامك؟»

اجابت بصوت متهدج:«ولكن، ربما لن تعجبها حقيقة انك انما تريد ان تسلي نفسك فقط، خصوصاً إذا انا اخبرتها ان عندنا، نحن الاثنين ارتباطات اخرى.»

ساد الصمت فترة وقد توترت شفتاه، ولكنه لم ينكر ما قالت. قال اخيراً:«هل انت متأكدة، يا جميلتي، ان بإمكانك المحافظة على هذا الوضع... المهني، فنبقى بعيدين عن بعضنا البعض اثناء الساعات التي سنمضيها معاً؟»

قالت:«نعم.» وارتفعت دقات قلبها، وهي تفكر بمرارة، في انه ليس أمامها خيار آخر.

ضحك قائلاً:«ما اشد ما انت متأكدة من ذلك.» وشملها بنظراته ساخراً وهو يتابع:«انني أراهن، يا عزيزتي انك

اول من سيخرق هذا القرار الذي تفرضينه.» وانخفض صوته الى درجة الهمس وهو يتابع:«إنك انت ستأتين إليّ، يا مارغوت، لأنك لن تستطيعي مقاومة نفسك، ونحن الإثنان نعرف هذا.» ووقف.

وقفت تواجهه قائلة بصوت اجش:«إنني اقبل تحدّيك هذا، ايها السيد. وأنا انذرك بأنني سأقاومك بكل جهدي.»

قال بلطف:«إذن، فقد انتهت الهدنة.» وأخذ يدها يرفعها الى شفتيه يقبل اطراف اصابعها، ثم قال:«والآن، فلنعدِ الى هاوت أرينيك ولنجرب قرارك هذا.» وأقفل راجعاً امامها الى سيارته.

جلست الى جانبه فريسة للاضطراب وتعدّد المشاعر، بعيدة عن الشيء الوحيد الواضح، وهو ان علاقتها مع جيروم لم تكن فقط مسألة ضبط النفس، وإنما حماية النفس. من شدة استغرابها في ورطتها هذه، لم تلاحظ انهما قد استدارا متجاوزين طريق اريبناك. ولم تدرك الامر الا بعد ان وصلا الى الطريق المؤدية الى منزله، عند ذلك استقامت في جلستها قائلة بحدة:«الى اين نحن ذاهبان؟»

اجاب:«لأحضر آلتي الطابعة إذ ليس هنالك واحدة في القصر. ذلك ان السيدة مارغريت ما زالت تفضل الكتابة اليدوية.»

كان هذا تعليلاً معقولاً، ولكن ميغ تصلبت في جلستها وهي تقول:«هلِ علينا إن نبدأ العمل اليوم؟ ألا يمكنك إحضارها غداً صباحاً؟»

ابتسم لها ساخراً وهو يقول:«سأمضي هذه الليلة في القصر، فإنّ عندي غرفة هناك. انني متأكد من ان فيليبين اخبرتك بذلك. ثم انه كلما استعجلنا بعلاقتنا المهنية، كان ذلك افضل. وأنا اعلم انك توافقين على ذلك، يا جميلتي.» اوقف السيارة قرب المنزل، وفتح بابها وهو يقول هازلاً:«هل تفضلين انتظاري هنا؟»

اجابت باقتضاب:«هذا حسن.»

عندما توجه نحو الباب، برز اوكتافيان، ومن ثم وقف الاثنان يتحدثان. لا بد ان الموضوع كان مستعجلاً لأن اوكتافيان كان يتكلم بقوة مشيراً بيديه وقد بان الاهتمام على وجهه.

بعد لحظة، رأت جيروم يستدير ليلقي نظرة على السيارة، عابس الوجه. وحدثت نفسها بأنهما يتحدثان عنها، وتملكتها موجة من الامتعاض، ففتحت باب السيارة، وترجلت منها مبتعدة عنهما في حركة التفاف واسعة حول زاوية المنزل حيث دوالي العنب تغطي جانب الوادي. ووقفت تحدّق في تلك الصفوف المنتظمة للدوالي، مصغية الى طنين صرصار العشب.

سمعت صوت خطواتٍ على الحصى خلفها، فالتفتت لترى اوكتافيان قادماً نحوها وهو يحمل مجرفة على كتفه. كان وجهها عابساً، وعيناه القاتمتين يتجلى فيهما الشك والعداء تحت حاجبيه الكثين. وعندما ألقت عليه التحية، اجابها بإيماءة بسيطة من رأسه.

قالت:«اوكتافيان ان سيدك هو الذي أراد احضاري الى هنا، وليس لك ان تقلق. انني اعرف سبب خوفك

www.rewity.com RAYAHEEN

وأريد ان اخبرك بأن الامر لن يكون كالسابق، ليس كما كان مع السيد جيروم الجد.» وسكتت، ولكن لم يقل شيئاً ولم يبد على وجهه ما يشجع. تابعت كلامها بشيء من اليأس:«انني لن اعود الى هنا... الى المسكن هذا، مرة اخرى، وفي آخر الشهر سأعود الى انكلترا نهائيا.» وحاولت ان تبتسم وهي تتابع:«اما السيد جيروم فلن يرحل عن هذا المكان. وإذا حدث هذا فلن اكون انا السبب.»

ولكن ملامحه لم تتغير بل قال بصوت خشن:«سواء ذهب او بقي فإنك، ايتها الانكليزية، تجلبين التعاسة معك. انني اعلم هذا. فأنا ارى وأسمع.» وأومأ برأسه متابعاً:«ليس لك عمل هنا، وعلى السيد جيروم ان لا يهتم بك او بالألم الذي تسببينه له.» وانقبضت يداه وأخذ يلكم الهواء وهو يقول متمتما:«انها التعاسة على الدوام.» وألقى عليها نظرة استياء اخيرة، ثم تابع طريقه الى الكروم.

اخذت ميغ تعزي نفسها وهي تستدير مبتعدة، بأنها حاولت جهدها معه، وارتفع نظرها الى الطابق الأعلى من المسكن حيث النافذة الواسعة والتي لن يكتب لها ابدا ان تراقب الفجر منها، ثم وقفت مصعوقة. ذلك انها لمحت شخصا واقفا وراء الزجاج... شخصا كان ينظر الى الاسفل، ليبتعد بعد ذلك، بسرعة وكأنه لا يريد ان يظهر لأحد. كانت لمحة واحدة ادركت فيها ان ذلك الشخص كان امرأة، وأنها لم تكن بيرث مدبرة المنزل.

ارتفعت خفقات قلبها، حسناً، ما الذي كانت تتوقعه على كل حال؟ فقد قالت بنفسها انهما هما الاثنين، لهما ارتباطاتهما... ولكن القول شيء، والحقيقة شيء آخر تماما.

عندما وصلت الى السيارة، كان جيروم يغلق صندوق السيارة وقد بدا على وجهه الاستغراق في التفكير. وتساءلت ميغ، بمرارة، عما إذا كان ثمة عجب في ذلك. كانت تريد ان تسأله، اما كنت تتوقع قدوم صديقتك؟ وهل تراها غضبت منك عندما رأتني برفقتك؟ ولكن كرامتها منعتها من ذلك. ان من الافضل لها ألا يعرف انها رأت ضيفته ابدا، فكيف تحدثه عن اهتمامها بها؟ ذلك كله سيفضح مشاعرها نحوه بالتأكيد. ولا عجب ان لا يرحب بها اوكتافيان.

شعرت بغصة في حلقها، إذ انه من المفروض انه يتقبل وجود تلك السيدة في غرفة النوم ولا يريد ان يعكر عليها احد وجودها ذاك، خصوصا هي بالذات.

حسناً، ليس له ان يقلق. لأنني اعلم الآن دون ادنى شك، ان لا أمل لي بجيروم ولم يكن ذلك من قبل قط. قالت لنفسها هذه الكلمات وقد اكتنفت نفسها وحشة لم تشعر بمثلها من قبل في حياتها.

الفصل التاسع

كان الجوّ في السيارة مشحوناً بالتوتر. فقد كان جيروم تائهاً مع افكاره من دون ان يحاول البدء بأي حديث مباشر. وكانت ميغ بدورها شاكره هذا، فقد منحها الفرصة لتتمالك اجزاء نفسها المشتتة.

ما اسرع ما تتغير الاشياء. فكرت في ذلك وقد ساورتها الرجفة. لقد كانا صديقين تقريباً، منذ اقل من ساعة فقط، والآن، ها هي الهدنة تنتهي لتشرع الاسلحة من جديد.

رمقته خلسة. كانت ملامحه متوترة، فإذا كان يفكر افضل في تلك المرأة الموجودة في منزله، فان افكاره لم تكن تجلب الى ملامحه اي قدر من السرور. انها تشعر بذلك الغضب الكامن فيه، فقد كان يشبه بركانا منتظراً انفجاراً في أي لحظة.

ربما ظهورها في المنزل قد احدث بينهما صدعاً لا يمكن إصلاحه. ولكن هذا لم يكن ذنبها هي.

اخترق صوته افكارها المضطربة، يقول:«ما الذي كنت تقولينه لأوكتافيان؟»

اجابت:«كنت احاول طمأنته، ولكنني لم أفلح.» وسكتت لحظة ثم اردفت:«ان اوكتافيان لا يريد إعادة الماضي، كذلك.»

صمت جيروم لحظة، ثم قال:«يجب ان تغفري له ذلك. لقد كرس نفسه لجدي كلياً منذ الوقت الذي كانا

يجوبان فيه التلال وهما شابان. وكان لا يرى المستقبل، وإعادة المنزل الى الحياة، الا من خلال هذه المصاحبة والعمل الشاق، وتوسيع الكروم ورؤية اولادهما ينمون معاً حين يأتون.» وتنفس بحدة وهو يتابع:«ولكن خيبة الأمل ملأت نفسه مرارة.»

قالت ببطء:«ولكنه يلوم العمة على كل شيء، وهذا ليس عدلاً.»

قال:«لماذا تقولين ذلك؟»

اجابت:«لقد كانت متزوجة. وجدك كان عازباً. ربما كان عليه ان يتمالك نفسه ويفكر مرتين قبل ان يتورط معها. فان خسارته اقل من خسارتها هي.»

قال بهدوء:«هذه وجهة نظر هامة. ولكن الزواج لم يحطم الزواج. كان قد انتهى قبل ان يتدخل هو. فهو لم يحطم أي علاقة، وهذا فقط ما لا يمكن اغتفاره، يا جميلتي، ألا تظنين هذا؟»

قالت:«ربما ليس لنا الحق، نحن الاثنين ان نصدر حكماً بهذه القضية... من هذه المسافة البعيدة.»

اجاب:«حسناً، ان اوكتافيان يظن العكس. انه يشعر بأن على خالتك ان تتذكر اليمين الذي اقسمته يوم زواجها، حتى ولو لم يفعل زوجها ذلك.» وهز رأسه متابعاً:«ربما كان ثمة شيء من اخلاق الكاثار ما زال معششا في تراب وحجارة لانغيدوك.»

بقيت ميغ صامتة لحظة، ثم قالت:«ولكن، عندما حنثت بيمينها، لماذا لم ترحل؟ فتهجر بيت الزوجية الى الأبد؟ كان في استطاعتها ان تؤسس حياة جديدة مع جدك...

لم يكن من حاجة الى ان يكونا، هما الاثنين، تعيسين.»
قال بصوتٍ ثقيل:«لم يكن الأمر بهذه البساطة، وقد لا يكون ابدا. لقد اوضح هنري دي بريسو انه لن يدعها تذهب. وأن ذلك الطلاق كان خارجا عن البحث، فقد كان يتنافى مع تقاليد الاسرة، وكان عازماً على إرغام مارغريت على البقاء في رباط الزوجية.» وسكت برهة، ثم تابع:«وقد اكتشف أنها كانت حاملا. وقرر هنري ان الطفل طفله.»
جمدت نظراتها سائلة:«أكان ذلك... ممكناً؟»
هز كتفيه قائلا:«كان ما يزال مصراً على استعمال حقوقه الزوجية.»
سألت:«وكيف امكنها تحمل ذلك؟»
اجاب:«لم يكن لها خيار في هذا الامر. وفي كل مرة كان هنري يعود فيها الى منزله، كان يظهر الندم البالغ عازما على وضع علاقتهما على اساس جديد فعال. وهذا ما جعلها تشعر ان من واجبها البقاء معه... وإعادة المحاولة.
ولم يستطع جدي ان يقنعها بتغيير رأيها. وكان على استعداد للمغامرة بكل شيء وتحمل أي فضيحة في سبيل ان يأخذها اليه. ولكن اهتمامها الاول كان بالطفل القادم.»
قالت ميغ:«ذلك لأن هنري ربما كان على حق، وهذا ما كانت تخشاه. وماذاحدث في النهاية؟» وبللت شفتيها بلسانها وهي تتابع:«ولكن، ظهر انه لم يكن هناك طفل.»

قال:«كلا ليس هذا، وإنما لسخرية القدر، حدث لها حادث. لقد تزحلقت على السلالم، ذات يوم، وكانت وحدها في المنزل، لقد كان الحادث ان يكلفها حياتها كما كلف الجنين حياته.» وسكت لحظة، ثم عاد يتابع:«ولم يغفر هنري لها ذلك قط، طبعا، وكانت نهاية ذلك الزواج. وهكذا، ضحت بنفسها وبسعادتها عبثا.»
سألته:«وماذا جرى لجدك؟»
اجاب:«لقد كان قد اقسم انه، إذا هو رحل، فلن يعود ابدا، وكان صادقا في قسمه، مع انه لم يلم مارغريت لاختيارها ذاك.» سكت للحظة ثم استطرد:«وهكذا ذهب الى باريس اولا، ثم الى الخارج لإدارة املاك في جزر المارتينيك آلت إليه من ناحية أمه في الأسرة. وعندما كان في إجازة، قابل جدتي، ومن ثم وضع اساسا لحياة جديدة لنفسه.»
سألت:«وهل كانا سعيدين؟»
اجاب:«كانا قانعين تماما. وربما هذا الأساس لحياة زوجية تدوم طول الحياة، هو اكثر امانا من غيره.»
شعرت ميغ بغصة في حلقها وهي تفكر، ربما... وبدا لها وكأن هذا هو الاختيار الثاني لها بعد الحب... وبقيت هذه الفكرة تتملكها بصمت، الى ان وصلا الى هاوت ارينياك.
علمت ان جيروم سيجعل مكتبه المؤقت، في غرفة المكتبة.
نظرت حولها. وفجأة، بدا لها ان الجدران المغطاة

بالكتب تظهر عداء نحوها، وكأنها تكاد تطبق عليها لكي تأخذها سجينة. ونظرت بتقزز الى الآلة الكاتبة الكهربائية المصقولة التي احضرها من السيارة ووضعها وسط طاولة فسيحة.

خطر لها ان هذه هي آلة التعذيب في سجنها هذا. قالت له:«انني لم استعمل مطلقاً هذا النوع من الآلات الكاتبة من قبل.»

كانت الآلة الكاتبة التي تستعملها للمراسلات، في المكتبة العامة حيث كانت تعمل، مختلفة تماماً عن هذه. فقد كانت من النوع الذي يحمل باليد. ولكن، كان في امكانها، على الاقل التعامل معها.

قال وهو ينفض يديه، بعد ان أوصل الآلة بالطاقة الكهربائية:«ليس ثمة مشكلة، فأساس المواصفات واحد.» وفتح محفظته وأخرج منها ملفاً بداخله اوراق سجلت عليها ملاحظات بخط يده الحاد الواضح. كانت رزمة تحوي مئات من الصفحات كما لاحظت ميغ وقد سادها الاكتئاب. نظر في ساعته قائلاً:«سأعود بعد ساعة لأرى كيف يسير العمل معك.»

فكرت ميغ وهي تراه يغلق الباب خلفه، ان هذا افضل من ان يقف مشرفاً عليها يراقبها وهي تتحسس طريقها مرتبكة وقد غمرتها التعاسة. وتذكرت احدى قصص الاطفال عن فتاة صغيرة سجنت في برج، حيث أمرت بأن تغزل القش محولة إياه الى خيوط ذهبية.

حدثت نفسها بأنها تعرف الآن ماذا كان عليه شعور

تلك الفتاة الصغيرة، في ذلك الحين. وتناولت الورق والكربون، ولكن لم يكن هناك من معجزة تنقذها، كما انقذت تلك الفتاة... لقد ادركت ذلك حالما عاد جيروم، كانت ما زالت محاطة بالقش، دون اثر للخيوط الذهبية.

كانت تشد على اسنانها وهي تحاول السيطرة على مفاتيح الآلة الكاتبة التي كانت تقفز في كل الاتجاهات، وهي معها تلاحقها، وذلك لأخف لمسة منها لها.

كانت مجموعة الصفحات التي انهتها، محدودة بشكل محزن عندما سمعت الباب خلفها، يفتح وتظاهرت في التركيز على العمل الذي بين يديها. ولم يكن بينهما اي احتكاك، ولكنها شعرت بحرارة جسمه تلفحها وبأنفاسه تحرك شعرها.

ازدردت ريقها وهي تشعر بجفاف في حلقها، ثم جازفت برفع ناظريها إليه، لترى حاجبيه يرتفعان وهو يقول بصوت جامد:«هل هذا كل ما انجزته؟»

منحته ابتسامة اكثر تألقاً من المعتاد وهي تجيب:«اخشى ان يكون الامر كذلك. لقد سبق وأخبرتك بأنني غير معتادة على هذا النوع من الآلات الكاتبة.»

قال بصوت ذي معنى:«ولا أي نوع آخر، كما يبدو.»

قالت:«كما انني لم اجد ممحاة ولا أي وسائل للتصحيح.»

اجاب:«لأن هذا ليس ضرورياً عند الطبع على هذا النوع من الآلات الكاتبة. لأن فيها زر تضغطين عليه

هكذا، فيصحح الكلمة بنفسه.» وضغطه امامها يريها كيف.

قالت ميغ بصوت اجوف:«فهمت.»

قال:«أمل ذلك.» وسكت ليقرأ في احدى الصفحات، ليقول بعد ذلك عابسا:«يبدو انه من السهل ارضاء مخدومك.»

عضت على شفتها قائلة:«انه لا يشكو. كما انني سبق وحذرتك من انني لست طابعة جيدة.»

قال بابتسامة متهكمة:«من الواضح ان مواهبك الاخرى تفوق مهارتك العملية.» ووضع الورقة التي كان يعاينها، من يده وهو ينظر في عينيها قائلا:«يوما ما، يا عزيزتي، يجب ان تخبريني بما تقومين به من عمل مقابل استحقاقك لراتبك.»

قالت بخشونة:«اظن ان هذا ليس من شأنك.»

قال بعنف مفاجىء في صوته:«ما الذي تقومين به، يا مارغريت، إذ تضيعين حياتك بهذه الطريقة؟ انني لا افهمك. انني اقسم بأنك اهل لأشياء كثيرة.»

دفعت ميغ كرسيها الى الخلف، مما جعلها تشعر بقربه منها، وهي تقف على قدميها. وقالت:«انني آسفة اذ لم أعش تبعا لتوقعاتك.»

قال جيروم برقة وهو يمد يده ليبعد بها خصلات شعرها عن جبينها المندى:«آه، ولكن هذه هي بداية فقط.» وابتسم لها متابعا:«ربما غدا يكون عملك افضل.» وأخذت الكلمات تتلكأ في الجو بينهما، غامضة، واعدة، مقدمة كل الاحتمالات، تماما كما كان يقصد بقوله ذاك.

شعرت بقلبها يشتد خفقانه لشدة الإثارة وداخلها نوع من الرجاء الأحمق... لتدرك ببساطة، انها انما بذلك، تغذي نفسها بالآمال الحمقاء.

تراجعت الى الخلف وقد رأت نفسها على حافة الهاوية، ثم قالت بهدوء:«ارجو المعذرة، فإن العمة قد تكون بحاجة إلي.»

قال بجفاء:«انك على الاقل، تلبين احتياجاتها بما يفي بالغرض.»

قالت وهي ترفع رأسها:«آن هذا هو الغرض من وجودي هنا.»

قال وهو ينظر إليها بعينين بدت فيهما لمعة خاطفة:«احقا؟ ارجو ذلك، يا مارغريت. صدقيني اني ارجو ذلك حقا.»

سألته:«ماذا تقصد بكلامك هذا بالضبط؟»

هز كتفيه قائلا:«انني لا اريد ان تتألم السيدة من أي شيء قد يبدو لها في ما بعد...»

قالت:«ارى انها... تعني لك شيئاً كثيراً، أليس كذلك؟»

اجاب:«نعم، ولكن ليس هذا بسبب الماضي فقط. فأنا على استعداد للقيام بأي شيء لكي اجنبها التعاسة من أي نوع كان.» وسكت برهة، ثم قال:«إذن، فكوني على حذر، يا مارغريت.»

هزت رأسها قائلة:«انني لا اريد ان اسبب لها أي اذى.» وأطلقت ضحكة صغيرة مقتضبة وهي تتابع:«من الغريب انه يبدو انني... انني انا ايضا يهمني امرها.»

www.rewity.com RAYAHEEN

وفكرت، وهي تتجاوزه خارجة من الغرفة، بأنها، تحسد العمة هذه، تحسدها من كل قلبها... ذلك انها، على الاقل، عندما احبت، قد بادلها حبيبها الحب.
امضت بقية الوقت، الى ان حان وقت العشاء، تقرأ مراسلات العمة لها، وكتابة مسودات الأجوبة، لتكتب بعد ذلك الاجوبة كاملة جاهزة لامضاء السيدة دي بريسو. وشعرت بشيء من الغرابة وهي ترى نفسها في خضم الشؤون الخاصة للسيدة، بهذا الشكل.
ولكن السيدة المسنة طمأنتها الى ان كل هذا كان من الاعمال العادية التي على مرافقتها الغائبة السيدة ألجو ان تقوم بها.
شعرت ميغ، وهي تبدل ملابسها لتناول العشاء بتعاسة بالغة من جراء الشعور بالذنب. ذلك ان ابنة شقيقتها الحقيقية هي من لها الحق في ان تتدخل بشؤونها الخاصة. ولكنها مجرد فتاة غريبة، وهذا يجعل الفرق هائلاً. ذكرت نفسها وهي ترتدي ما اختارته من ملابس، بأن هذا ليس من شأنها ولا دخل لها فيه. وعندما يبتدىء العمل في القصر، هذا إذا ابتدأ، فإنها ستكون قد رحلت منذ مدة طويلة، وابتعدت كلياً عن هذا المكان. اختارت ثيابها، بعناية متعمدة عدم ارتداء ذلك الثوب العسلي بذكرياته المؤلمة، لترتدي تنورة سوداء بسيطة مع قميص حريري ابيض بياقة عالية وكمين طويلين.
كانت تتوقع ان تكون السيدة قد سبقتها الى غرفة الجلوس. ولكن، عندما وجدت الغرفة خالية، رأت ان

هذه فرصة مناسبة لتتصل وتتكلم مع زوجة ابيها في لندن. رفعت السماعة تدير الرقم، وتنفست الصعداء حين وجدت تجاوبا.
جاءها صوت زوجة ابيها واضحاً، انما يشوبه التذمر:«نعم. من المتكلم؟ ماذا تريد؟»
اجابت ميغ وهي تنطق بالاسم مترددة:«هذه انا... مارغوت.»
هتفت المرأة بحدة:«مارغوت... أوه، تباً لك، لقد اوشكت حقاً على الجنون. اين انت يا عزيزتي؟»
اجابت ميغ بحذر بالغ:«لماذا، في فرنسا طبعاً. ارادت السيدة دي بريسو مني ان اتصل بك لأطمئنك الى وصولي بخير وآمان.»
قالت ايريس وقد بدا عليها الارتباك، للحظة:«السيدة دي... اتعنين ان هذه انت يا ميغ؟ لماذا لم تقولي ذلك بدلاً من الادعاءات بأنك مارغوت؟»
اجابت ميغ:«لأن هذا صعب بالنسبة للظروف. ماذا حدث هل هنالك شيء؟»
اجابت:«اتسألين؟ انها تلك المرأة، زوجة ستيفن كيرتيس. لقد هجرته تاركة له الاولاد مثيرة امامه كل انواع الفضائح في الصحف. لقد توافدت علي كل انواع الاتصالات الهاتفية من مختلف الصحف، وكلها تريد ان تتحدث الى مارغوت. حتى انني رفعت السماعة لكي احظى ببعض الامان. لقد نشرت صور، وتحدثت العناوين عن ذلك الحب... صدقيني، ان الامر كان كابوسا رهيبا. وكان على طفلتي المسكينة مارغوت ان

تختفي عن الاعين. اما ستيفن كيرتيس نفسه فيبدو ان القضية قد عصفت بعقله ففقد توازنه كليا.» وضحكت المرأة غاضبة وهي تتابع:«اتصدقين انه جاءني بكل شجاعة الى منزلي محضراً، إليّ اولاده مصراً على ان تعتني بهم مارغوت إذ ليس لديه مكان آخر يضعهم فيه؟ وأولئك الصحافيين الفضوليين امضوا كل النهار يبحثون في ذلك. وقد قلت له ان مارغوت ليست هنا ولكن هذا لم يمنعه من ان يتركهم لدي قائلاً ان عليه ان يذهب للبحث عن زوجته.» وعلا صوت ايريس ثائراً وهي تتابع:«اما الاولاد، فلم يكفوا عن الصراخ الى ان فقدت عقلي، عند ذلك خطرت المربية ترومان في بالي، فاتصلت بها قائلة ان ثمة حالة مستعجلة. فأقبلت بسرعة.»

جلست ميغ على ذراع الاريكة وهي ترتجف، ثم سألتها:«اتعنين ان الاولاد ما زالوا عندك؟»

اجابت:«كلا، كلا. لقد اخذتهم المربية الى البيت، ولكن عليه ان يتدبر امرهم بشكل آخر، إذ ليس المفروض بي ان.... ان الامر ليس كما لو كانت مارغوت هنا او حتى انني اعرف متى ستعود. خصوصاً بعد الاشياء الفظيعة التي قالتها زوجته كيرين عنها في الصحف مما يجعله عرضة للذم والتشهير.»

قالت ميغ:«اشك في ذلك.»

اجابت:«هذا ما قاله لي المحامي عندما كلمته في ذلك.» وتنهدت وهي تتابع:«لن يكون بإمكاني ابداً ان ارفع رأسي بين الناس بعد هذا، وأنا هنا وحيدة تماماً،

وعليّ ان افكر بكل ذلك. لقد كان من الانانية ان تختفي مارغوت هكذا. خصوصاً وقد كان عليها ان تعرف ماذا كان سيحدث.» وسكتت لحظة، ثم تابعت:«عليك ان تعودي حالاً الى المنزل، يا ميغ. انني بحاجة اليك. على الاقل لتردي على المخابرات الهاتفية وتفتحي الباب.»

قالت ميغ:«انني آسفة، لأن هذا مستحيل. فهم بحاجة إلي هنا كذلك، حيث اقيم، فهذه المشاكل التي عندك لم يكن لي فيها يد، ولا اريد ان اتورط فيها.»

شهقت ايريس قائلة:«كيف يمكنك ان تكوني بهذا القلب القاسي؟ ان اعصابي بحالة فظيعة. انني اريد ان تعودي في هذه اللحظة. أليس في قلبك رحمة؟»

فكرت ميغ وهي تضع السماعة من يدها، ان في قلبها رحمة حقاً، ولكن كيرتيس مجروحة من قلبها من خيانة زوجها لها، دون شك ولكن هروبها ذاك وفضحها للأمر، استباقاً لما سيحدث، وترك مسؤولية الاولاد على عاتق زوجها وحبيبته، كل هذا كان خطوة مدروسة اكثر منها انجرافاً عاطفياً.

لوت شفتيها وهي تفكر في اختفاء مارغوت، مما يدل على شخصيتها الحقيقية، وفكرت في مربيتها الرقيقة الهادئة المتفهمة والتي تعاني الآن، في هذه المحنة، مما ليست هي مسؤولة عنه.

«مساء الخير.»

التفتت لترى جيروم واقفاً في الباب المؤدي الى الشرفة وفي يده كوب عصير.

انتاب ميغ الذعر. إذن فقد كان جالساً في الشرفة طوال وقت المخابرة الهاتفية ما الذي تراه سمع؟ وما الذي قالته هي مما قد يفضحها؟ وتصنعت ابتسامة وهي تقف قائلة:«لم اكن اعلم انك هنا.»

اجاب باقتضاب وهو يدخل الغرفة وعلى فمه ابتسامة ساخرة من لباسهاالمحتشم:«هذا واضح. كم تبدين متواضعة ومحتشمة. هل يمكنني تقديم كوب عصير لك؟»

اومأت برأسها مجيبة:«نعم، شكراً.»

نظر إليها متفحصا وهو يقول:«ارجو ان لا تكوني قد سمعت اخباراً سيئة.»

اجابت:آه، بالعكس، فالاخبار حسنة جداً.» وبينما كان يملأ لها كوب العصير، اخذت تفكر في ان الامور حسنة فعلا، إذ ربما سيعود ستيفن كيرتيس الى عقله، في النهاية، بالنسبة الى زواجه، كما إن مارغوت ستتعلم درسا قاسيا هي بحاجة إليه حتما، وستعود الحياة قريبا الى طبيعتها.

انها تشك في ان ايريس قد تغفر لها عدم استجابتها لها. وهزت كتفيها، فقد حان الوقت، عل كل حال الى ان تنتقل من ذلك المنزل. ومن الآنَ فصاعدا، ستمضي كل دقيقة فراغ من وقتها في غرفة المكتبة تتمرن على تلك الآلة الكاتبة الى ان تتمكن من هذه المهنة، ليكون في استطاعتها، عند عودتها الى لندن، ان تتقدم بطلب عمل مكتبي تعيش منه، إذ ليس امامها سوى هذه الطريقة. نظرت الى جيروم يتقدم منها وفي

يده العصير، وقد تجلى في عينيها شوق من دون أمل. اشاحت بوجهها تحدق الى خارج الشرفة، وقد انتابها الخوف من ان يقرأ في عينيها ما يدور في نفسها. وعندما اقترب منها، تناولت كوب العصير من يده وهي تتمتم شاكرة. بينما استند هو متراخيا، الى حافة النافذة. وتضرج وجهها وهي ترى نظراته الفاحصة. انفجر ضاحكا وهو يقول:«مرة اخرى، هذا التضرج غير المعقول في وجهك.»

لم تستطع ان تفكر في جواب لهذا. واستمرت تنظر امامها بجمود. كانت تعلم انه من القرب منها بحيث انها لو استدارت ستلامس كتفها بكتفه.

قال يغيظها:«لم اكن اعلم ان نقوش السجادة جذابة الى هذا الحد...»

قالت وهي تعض على شفتها:«كنت افكر.»

قال:«لا اظنها افكار سارة.»

فكرت بمرارة في انه يفهم عنها اشياء كثيرة. هزت كتفيها قائلة:«ان المكان هادىء جداً هنا، بينما انا قد اعتدت على حياة المدينة حيث دوما هنالك شيء جديد.»

قال متأملاً:«آه، نعم، علينا اذن ان نحض لك بعض الاشياء المثيرة هنا.»

حاولت ان تتجاهل ما يتوارى وراء كلماته هذه من إغاظة ضاحكة، واحتست شيئا من العصير وهي ترد بحدة:«وذلك، دون شك، بطبع التخمينات عن تكلفة بناء سقف جديد.»

ضحك قائلاً:«حتى هذه الاشياء قد تكون ممتعة. وذلك حين تستعملين مخيلتك فتتصوري الجمال الذي سيكون عليه هذا المنزل عندما ينتهي من اصلاحه.»
قالت ببطء وهي تفكر في الرسائل التي سبق وكتبتها قبل فترة:«آه، نعم، اظن ذلك.»
نظر إليها متسائلاً بقوله:«هل هنالك ما يضايقك؟»
اجابت:«كلا، ولكنني لا استطيع فهم لماذا، بعد هذا الزمن الطويل، يصرف على تصليح منزل كبير مثل هذا، المبالغ الضخمة ولأي سبب؟ بينما من الواضح ان ليس هناك من ولد او أي شخص ليرثه.»
سألها:«اتظنين ان على هذا القصر ان يترك لحاله الى ان يندثر بسلام؟»
قالت مترددة:«كلا، حسناً، ربما.. إذ من هو الذي يستطيع ان يتحمل مصروف منزل ضخم كهذا، بعد الآن؟ وإلى جانب ذلك، لا اظن ان العمة تملك تلك المبالغ من الأموال.»
قال بشيء من السخرية:«وهل هنالك ما يمكنها عمله افضل من هذا؟»
قابلت نظراته بثبات قائلة:«نعم، ربما، فهذا المكان منعزل جداً، كما انه يحتوي على كثير من الذكريات المحزنة يمكنها ان تبتعد... ان تسافر...»
قال:«وتنسى؟»
حركت يدها تظهر العجز وهي تجيب:«ولِمَ لا؟»
قال:«لا اظن الامر بهذه البساطة. فالحب لا يزول دوماً او يُنسى، بسهولة.»

قالت:«بعد كل تلك السنين؟»
اجاب بهدوء:«إذا كان الحب حقيقياً، فالوقت لا يعود له حساب. وساعة واحدة او الحياة كلها، تصبح شيئاً واحداً.»
اشتدت يدا ميغ على كأسها وهي تقول متوترة:«ولكن إذا اتضح ان ذلك الحب هو لشخص غير مناسب، وفي وقت غير مناسب، وفي مكان غير مناسب؟»
قال بخشونة:«انه يكون، عندئذ، مأساة. ولكنه لا يغير من الأمر شيئاً، يا جميلتي، صدقيني. فالجرح العميق هو نفسه، وآثاره تبقى خالدة.» وفكر لحظة، ثم تابع:«كما انه ليس في استطاعتك ان تبعدي السيدة مارغريت عن هذا المكان. فقد امضت اكثر حياتها هنا. وأصبح هذا القصر يُمثل حياتها، وحبها. والآن هي تريد ان تفرغ فيه كل عواطفها المحمومة التي تجمعت طوال تلك السنوات الفارغة. فهل تنكرين عليها هذا؟»
اجابت ميغ وهي تتنهد:«كلا، كلا ابداً، ما دمت عرضت الامور بهذا الشكل.»
قال:«او ربما كنت تضعين في اعتبارك مصلحتك الخاصة؟» وخدعت، في البداية، بلهجته المهذبة، ولكنها، ما ان استوعبت المعنى الذي تضمنته كلماته حتى استدارت إليه بحدة، قائلة:«ماذا تقصد؟»
قال وهو يهز كتفيه:«ان السيدة وحيدة وضعيفة البنية. وسيلفي ألجو مرافقتها المعتادة، هي امرأة طيبة، ولكنها لا تستحق شيئاً على مودتها وعطفها، ثم ان السيدة مولعة بك.»

توترت ملامح ميغ وهي تقول:«لقد سبق وأخبرتك بأنني لا اريد شيئاً منها.»

قال بصوت عنيف ساخر:«انني اعرف ماذا سبق وقلت. ولكن كل شخص بإمكانه ان يغير رأيه. وفي مدى شهر يمكنك ان تحققي الشيء الكثير. حتى انه يمكنك ان تقنعي السيدة بأن تحول إليك كل ما تملكه، إذ تجد امامها القصر القديم المتهالك، او المرأة الشابة الجميلة... ولا شك ان كفة الميزان تميل في مصلحتك، يا عزيزتي مارغوت.»

انتابتها ثورة عمياء، ورفعت يدها تهوي بها على وجهه، ولكن يد جيروم كانت اسرع بإمساك معصمها بقبضة من حديد.

قال بلطف:«آه، كلا. إياك.» وسرعان ما كان يأخذها بين ذراعيه يشل بذلك حركتها. كان غاضباً بشكل لم تره من قبل. وهو يحتضنها بمشاعر محمومة لم تكن مشاعرها هي بأقل منها.

فجأة، وبنفس العنف الذي بدأ به احتضانه لها، تركها من بين ذراعيه رافعاً اياها عنه وكأنه يطردها عنه طرداً..

قال بصوت خشن متهدج:«آه، تباً لك، يا مارغوت، ما الذي تفعلينه بي؟» وسار نحو الباب قاذفاً بقدمه كوب العصير الذي كان قد سقط على السجادة، ثم خرج مغلقاً الباب خلفه بعنف.

كان هنالك كأس مهشمة على السجادة وعليها ان ترفعها بسرعة. جثت على السجادة بحذر، ورأسها

يدور، تلتقط الزجاج بمنديلها. أجفلت عندما جرحت احداها، اصبعها.

نظرتٍ الى خط الدم الاحمر السائل. كان الجرح عميقاً، والأثر سيبقى خالداً. وأحست بطعم دموعها المالحة وهي تنحدر إلى شفتيها.

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

الفصل العاشر

اشارت الساعة بجانب سريرها الى الثانية صباحاً، وحدقت فيها ميغ وهي تقول:«يا للتعاسة.»
لقد مرّ عليها اسوأ مساء في حياتها. إذ ما كادت تنتهي من التقاط قطع الزجاج المتناثرة، حتى دخلت السيدة دي بريسو ترفل في الحرير المعطر، وهي تقول:«ها انا هنا، يا صغيرة؟» من دون ان تنتبه، لحسن الحظ، الى عيني ميغ المتألقتين بشكل غير عادي، وآثار الدموع على خديها. جلست على كرسيها المعتاد وهي تحدق حولها بنظرة الضعيف قائلة:«ألم يأت جيروم، بعد؟»
تمتمت ميغ بشيء غير مفهوم. وقالت السيدة:«حسناً، هذا غير مهم. انني مسرورة إذ سنحت لي الفرصة لأراك بمفردك.» وفتحت درجاً في منضدة بجانبها وأخرجت علبة مخملية وهي تقول:«أحب ان اقدم اليك هذه.»
ترددت ميغ شاعرة بالضيق، وابتدأت بالقول:«لا حاجة بك الى ذلك، في الحقيقة...»
قاطعتها بحزم:«بل ثمة حاجة. فلقد اهملتك مدة طويلة.»
ووضعت العلبة في يد ميغ وهي تتابع قائلة:«ربما تكفّر هذه عن صمت كل تلك السنوات.»
قالت ميغ بذعر:«كلا، كلا. اعني... انني لم آتِ الى هنا لأجل هذا...»
قالت العمة برقة:«ليس بك حاجة الى ان تخبريني بذلك.

ومع هذا فإنني اريد منك ان تقبلي هذا التذكار مني، يا عزيزتي. فلا تحرميني من هذا السرور.»
ازدردت ميغ ريقها وهي تفتح العلبة، لترى دبوساً رائعاً من الياقوت الأرجواني تحيط به اللآلىء.
حدقت ميغ فيه، وقد عصتها الكلمات.
قالت العمة:«ارجو ان يكون قد اعجبك؟ ربما لا يكون له قيمة مادية كبيرة، ولكنه كان يعني ذات يوم، الكثير بالنسبة لي، وهو الآن لك.»
فكرت ميغ في ان ليس ثمة حاجة للسؤال عمن اعطاها هذا الدبوس. وقالت بصوت مرتجف:«إنه اجمل شيء رأيته في حياتي. ولكن، لا يمكنني اخذه، يا عمتي... إنك... إنك لا تدركين...»
قالت العمة برقة:«ربما انا ادرك. انك تشعرين ان جيروم لن يقبل.»
اجابت:«انني متأكدة من انه لن يقبل، إنه... إنه لا يثق بي...»
قالت العمة وهي تربت على يدها:«لقد كان هذا قبل ان يقابلك، فلا تلومِيه على هذا، يا طفلتي. فهو يبالغ في حمايتي احيانا. ولكن هذا ليس ذنباً، صدقيني، في الرجل بالنسبة إلى المرأة. وكان حكمه عليك، في البداية متسرعاً مبنياً على السمع. وأنا متأكدة من انه ادرك ذلك الآن.»
هزت ميغ رأسها قائلة بهدوء:«على العكس، اظن هذه الهدية ستؤكد اسوأ شبهات جيروم.»
«وما هي شبهاتي؟»

كان هذا صوت جيروم الذي كان واقفاً عند الباب يراقبهما.
قالت العمة:«لقد قدمت الى عزيزتنا مارغوت هدية صغيرة. ولكنها مترددة بشأن قبولها.»
قال ببطء:«يا للأخلاق التي تدعو الى الإعجاب.»
قالت العمة بحزم:«عليك ان تخبرها، إذن، بأن ترددها هذا سخيف.»
قال:«بكل سرور.» وتقدم من ميغ ومدّ يده إليها لتعطيه العلبة، قائلا:«ايمكنني ان ارى؟»
ناولته ميغ الدبوس متمهلة، لكي يفحصه.
قال بعد برهة:«ولكنه رائع.» والتقت عيناه الساخرتان بعينيها، مما جعلها تتأكد من انه عرف قيمة هذه الحلية. وتابع:«وكذلك هو يتلاءم مع ما ترتدينه. اسمحي لي.» اخرج الدبوس من علبته، ووضعه في ياقة قميصها الابيض.
تراجع خطوةً الى الخلف وهو يقول بلطف:«ان مكانه مناسب تماما.»
بدا ان العشاء لن ينتهي. وعندما كانوا يدخلون قاعة الطعام، استدعت فيليبين جيروم الى الهاتف، ليعود إليهم عند تقديم الحساء، واختلست ميغ نظرة من بين اهدابها الطويلة إليه، لترى التجهم يكسو ملامحه. كان من الواضح ان الخبر الذي تلقاه في هذه المخابرة الهاتفية، لم يكن سارا. ربما قد اتصلت به تلك السيدة التي في منزله لتخبره بأنها قد سئمت من الانتظار.
حولت انتباهها الى العمة، وابتدأت تثرثر بوجه مشرق،

عن كل ما رأته وفعلته في المدينة هذا الصباح. ومن وقت لآخر، كانت تنتبه الى نظرات جيروم تنصب عليها، متنقلة بين شفتيها وذلك الدبوس الذي كان يتألق على ياقة قميصها. ولكنه لم يحاول ان يتدخل في حديثها او ان يحوّل الحديث الى موضوع آخر.
عندما سكتت ميغ، لتلتقط انفاسها، سألتها العمة:«اردت ان اسألك ان كنت قد اتصلت بأمك؟»
أجابت:«نعم. لقد تحدثت معها قليلاً.»
قالت العمة:«ارجو ان تكون بخير؟» كانت كلمات العمة مؤدبة اكثر منها دافئة، وهي تتابع:«لا بد انها تفتقدك؟»
ابتسمت ميغ بتحفظ وهي تجيب:«انها مشغولة قليلاً عن هذه الاشياء في الوقت الحاضر، كما اظن.» ورأت عيني جيروم تضيقان فجأة وهو يستند بظهره الى الخلف ولكنه لم يعلق بشيء.
لم يكن لدي ميغ شهية للطعام، فأكلت قليلاً ثم دفعت بطعامها في انحاء صحنها مما لم يعجب فيليبين عندما رفعت الاطباق.
عندما انتقلوا جميعا الى غرفة الجلوس اقترحت العمة ان يتسلى جيروم وميغ بلعبة الطاولة، ولكن ميغ اعتذرت بسرعة، وقالت انها تعاني من صداع.
اخذ جيروم يد السيدة يقبلها وهو يقول:«انا ايضاً استأذن بالذهاب، فقد حدث فجأة في منزلي اشياء غير متوقعة ولا يمكن تجنبها.»
شعرت ميغ بقلبها يكاد يكف عن الخفقان. إذن، فقد

قرر إن يستجيب لذلك الاستدعاء له في الهاتف. حسنا، ما الذي كانت تتوقعه غير هذا؟ ولكن، ما لها تشعر بأنها تكاد تموت في اعماقها؟

قالت له السيدة بحدة:«انك ترهق نفسك في العمل. هل ستعود في ما بعد؟»

قال بعد برهة:«لست متأكداً من ذلك. على كل حال، سأراك في الصباح. ليلة سعيدة.»

ابتسم لميغ ببرود قائلا:«ارجو ان يبارحك الصداع بسرعة.» ومن ثم ترك الغرفة.

اهتمت العمة بتقديم ما يزيل صداعها، واضطرت ميغ الى اخذه منعا للشك من ان يراود السيدة، مع انه لم يكن ليستطيع تخفيف الألم في قلبها. ولكنها رفضت الذهاب الى الفراش، فقد كان الانفراد بنفسها والتفكير، هو آخر شيء تريده في العالم.

قالت العمة وهي تسوّي الوسائد خلف ظهرها:«من المؤسف ان يضطر جيروم الى الخروج، وإلا لكان جعل خاتمة يومك مسليا لو انه استطاع البقاء.»

كانت تتكلم بصدق، ولكن ميغ لم تخدع بذلك، فقالت:«لقد جئت الى هنا لأكون مرافقتك، يا عمتي، وليس مرافقته.»

قالت العمة:«ولكنك ابتدأت تعجبين به، أليس كذلك يا عزيزتي؟»

كانت كلمة اعجاب هذه وصفاً فاتراً لتلك المشاعر الجارفة التي تكتسحها. وقالت باختصار:«انني لم افكر بذلك، في الحقيقة. هل احضرت فيليبين الصحف؟»

قالت العمة:«انني لا اريد ان اسمع أي اخبار صحفية، هذه الليلة. انها جميعا تتحدث عن الحروب والموت والدمار... وكلها تسبب لي الاكتئاب. انني افضل ان اتحدث عن الاشياء التي تبعث السعادة.»

قالت ميغ برقة:«سأتحدث في أي موضوع يعجبك ما عدا... ما عدا جيروم... إنني... إنني اعرف الى أي حد انتما مولعان ببعضكما البعض، الى أي حد تعتمدين عليه، ولكن ليس بإمكانك ان تتوقعي مني المشاركة في علاقتكما.»

قالت العمة بقوة:«طبعاً لا، إذ ان هذه سخافة. ولكنك، ايضا لا يمكنك الادعاء بأنك غير منجذبة إليه، يا عزيزتي، وكذلك هو.» وضحكت بهدوء وهي تستطرد:«عندما يخفّ نظر شخص ما، فإن بقية الحواس تقوى. وقد شعرت بذلك التيّار من المشاعر يسري بينكما.»

قالت ميغ:«انه وسيم جداً، ومن الطبيعي ان انتبه الى هذا...»

قاطعتها العمة قائلة:«كلا، كلا. انني اتحدث عن شيء اكثر أهمية وعمقا من مجرد الانتباه هذا...»

قالت ميغ بإصرار:«اظنك مبالغة، فأنا والسيد جيروم لم نتقابل إلا منذ فترة قصيرة جدا.»

افلتت العمة ضحكة عميقة مرة اخرى وهي تقول:«ويا له من لقاء. وكم تظنين، ايتها الطفلة الحمقاء، ستأخذ معرفة ذلك، من الوقت؟ احياناً نظرة... كلمة... وهذا يكفي لكي يصبح الرجل فوق الجميع في نظرك.»

حاولت ميغ ان تبتسم وهي تقول:«ان هذا كلام شاعري جدا، ولكن الحقيقة هي شيء آخر.»
تساءلت ميغ في سرها، عما يحدث في حالة منحها قلبها لرجل لا يبادلها عواطفها، او ما هو اسوأ، إذ يريدها لمجرد التسلية...
عادت العمة تقول بحزم:«لا يجب ان تأخذك الشكوك في الحب، يا عزيزتي. بل عليك ان تتمسكي به بكل فرح وبهجة حالما يقدم إليك، وإلا فستمضين حياتك فارغة إلا من الندم.»
فكرت ميغ وهي تعض على شفتها، ان هذا شيء هي متأكدة من الوصول إليه. وقالت بصوت عال:«ليس ثمة فائدة حتى من الحديث عن الامر، إذ يبدو انك نسيت انني سأمضي هنا عدة اسابيع فقط...»
ربتت العمة على يدها قائلة:«بهذه المناسبة، بما انني عدت فوجدتك، يا طفلتي فإنني لا اريد ان اخسرك. وآمل ان أراك دوما في المستقبل.»
صدمت ميغ لشعورها بالذنب. وحدثت نفسها بأنه ما كان لها ان تقبل تمثيل هذا الدور ابداً، وان الحياة كلها لن تكفي للإستغفار عن هذا الذنب.
رفعت يدها تلمس الدبوس، لتشعر ببرودة احجاره تحت اصابعها. ان من المفروض ان هذا الدبوس تستحقه مارغوت، كما قصدت العمة، على كل حال، ولكن إذا وقع بين يدي تلك الفتاة الجشعة، فسيكون ذلك على جثتها، كما انها لا ينبغي ان تحتفظ به هي ايضا. انها تحتفظ به اثناء وجودها هنا فقط من

باب الاستعارة كما هو الشأن بالنسبة لكل الاشياء الاخرى.
لم يعد جيروم. وبعد الساعة العاشرة ابدت السيدة رغبتها في الذهاب الى سريرها. وقد قرأت لها ميغ قبل النوم، قبل ان تذهب هي ايضا الى غرفتها، حيث نزعت الدبوس من ياقة قميصها بكل عناية ووضعته في علبته لتدسه في آخر الدرج في منضدة الزينة. لا بد انه كلف العمة كثيرا من الألم حين تخلت عن هذا الشيء الذي يعني لها الكثير. شعرت ميغ بالحزن لأجلها، لم تكن تظن ان هذه السيدة ستتعلق بها بهذه السرعة. كما انها لم تكن تتكهن بأنها كانت تنظر الى الزيارة كبداية لعلاقة طويلة كاملة مع ابنتها الروحية. حدثت نفسها بأن هذه ستكون مشكلة مارغوت وليست مشكلتها هي.
ولكن هذه المشكلة كانت واحدة من كثيرات، إذ ان ستيفن كيرتيس ابتدأ يحاول انقاذ زواجه بأي ثمن. وهذا يعني ان مارغوت ستخرج من عملها ومن حياته ايضا.
لم تشعر ميغ يوماً بأي تعاطف مع مارغوت اثناء ملاحقة هذه الاخيرة لكيرتيس، ولكن خطر لها الآن، بعد هذاالاحساس الجديد الذي استيقظ فيها، بأن مارغوت لو كانت حقا تحب ذلك الرجل فإن فقدانه سيحطمها وسيمزق نفسها. وفكرت في ان مارغوت ربما لم تكن تريد ان تحبه، ولكنها مثلها هي، لم تستطع مغالبة عواطفها. وستلتزم لهذا، مثلها الى آخر حياتها.

تملكها الأرق وهي مستلقية على فراشها في الظلام تقلب مختلف الأمور، ولكن ذهنها المرهق لم يستطع ان يضع حلاً لأي مشكلة من تلك المشاكل التي تشغلها وتسبب لها الحيرة والارتباك. وفي النهاية، دفعت عنها الاغطية بحزم. انها الساعة الثانية صباحا، وهي لن تبقى مستلقية هنا مستسلمة للأفكار المؤلمة، انها ستستغل ارقها هذا في ما يفيد.

وضعت عليها معطفها المنزلي، وأخرجت مصباحها اليدوي من حقيبتها، ثم فتحت باب غرفتها ليواجهها الصمت والظلام. وبحذر اتخذت طريقها على ضوء مصباحها الى غرفة المكتبة. انها ستواجه الصعوبات وستتغلب عليها. ربما سيأخذ منها اقناع جيروم بأنها غير جديرة بعض الوقت، ولكن بإمكانها على الأقل، ان تثبت له بأنها ذات كفاءة في العمل. وذلك بالتدرج على تلك الآلة الكاتبة.

دفعت باب المكتبة، ولكن لتقف مصعوقة. كان مصباح المكتب مضاءً وكان جيروم جالساً الى المكتب مشغولا بالكتابة.

حدّق فيها وكأنه يرى شبحاً، ثم جمع الاوراق التي أمامه ووضعها في ملف.

سألها:«ما الذي جئت تفعلينه هنا؟»

لم تشأ ان تخبره انها كانت قادمة للتمرن على الطباعة سراً، وإلا لظنها مجنونة.

قالت:«ظننت انني سمعت ضجة.»

قال بابتسامة جافة:«ارجو ان يكون ألم رأسك قد خفّ.»

قالت:«نعم.» وسكتت لحظة، ثم عادت تقول:«ظننتك لن تعود هذه الليلة.» قالت ذلك وهي تفكر في ان تلك الفتاة المجهولة في منزله لا بد ان تهتم به اكثر مما تفعل الآن، لكي لا يتركها في مثل هذا الوقت.

هز كتفيه قائلا:«هناك بعض تخمينات التكلفة بالنسبة للبناء كانت في انتظاري في مسكني، رأيت ان انهيها، ذلك ان السيدة مارغريت تريد ان يبدأ العمل في اقرب وقت.»

قالت ميغ وهي تشد حزام معطفها بعصبية:«نعم، بالطبع.» لاحظ حركتها هذه لاويا شفتيه ثم التقط قلمه وهو يقول:«انني لن اعيقك عن العودة، ام لعل هناك شيئا آخر؟»

قالت:«كلا... على الاقل...» وترددت.

قال:«حسنا، تابعي كلامك.»

قالت بشيء من السرعة:«إنه عن ذلك الدبوس. انني اريد... اريد ان اوضح لك الأمر بشأنه.»

رفع حاجبيه قائلا:«وهل ثمة ايضاح ضروري؟ لقد ارادت السيدة ان تقدم لك هدية، وهذا شأنها هي فقط.»

قالت وهي ترطب شفتيها الجافتين بلسانها:«لا اظن هذا صحيحا. انه حلية قديمة وجميلة، وليس علبة شوكولا، لقد حاولت ان اخبرها انه لا يمكنني قبول مثل هذا الشيء، ولكنها لم تستمع إليّ.»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يقول:«لقد اعتادت التصرف بطريقتها الخاصة في اشياء كثيرة.

www.rewity.com RAYAHEEN

وليس بإمكانك تغييرها في هذه الفترة القصيرة.»
قالت:«هذا بالضبط ما اريد ان اقول. انني سأتقلد الدبوس اثناء وجودي هنا، وعندما ارحل سأعيده إليك.»
قطب حاجبيه قائلاً:«اتعيدين هديتها؟ لا يمكنك ان توجهي الى السيدة مثل هذه الإهانة.»
قالت بثبات:«ذلك هو السبب في انني اردت ان اعيد الدبوس الثمين إليك انت.» وسكتت لحظة، ثم عادت تقول:«وعلى كل حال، فقد جاء اصلاً، من اسرتك. أليس كذلك؟»
هز كتفيه قائلاً:«دون شك. إذ لو كان تابعاً لأسرة دي بريسو لباعه هنري وقامر بثمنه.»
اومأت برأسها قائلة:«ولهذا، انا سأعيده، فقط الى اصحابه.»
ازدادت تقطيبة جبينه وهو يقول:«هذا ليس ضرورياً ابداً. ان الدبوس ملكك الآن، فاحتفظي به.»
هزت رأسها قائلة:«لا يمكنني ذلك.»
قال وقد اسود واظلم وجهه:«هل هذا بسبب ما قلته قبل العشاء؟ لم يكن من حقي ان...»
رفعت يدها تمنعه من متابعة الحديث، قائلة:«ثمة اسباب اخرى كذلك. وأرجوك ألا تسألني الايضاح.»
قال:«حسنا جداً.» وسكت لحظة ثم عاد يقول:«هل هذا هو السبب في حضورك الى هنا؟ فقط لتخبريني عن الدبوس؟» وكان في صوته نبرة غريبة.
قالت:«لقد سبق وأخبرتك انني سمعت ضجة.»

سألها متهكماً:«سمعت ضجة هنا من غرفتك في الطابق الاعلى؟ يا للسخافة.»
عرفت ان هذا العذر ليس في الواقع، بسخافة نصف الحقيقة. وقالت تجيبه:«حسناً، ثمة شيء ايقظني لا أدري ما هو بالضبط.»
قال وقد بدت المرارة في صوته، والتفكير في عينيه:«قد يكون نفس السبب الذي جعلني لا انام الليل منذ بداية تعارفنا، يا جميلتي.» وترك القلم من يده ثم وقف ودار حول المنضدة قادماً نحوها.
تراجعت ميغ نحو الباب وهي تقول بسرعة:«انني آسفة لإزعاجك... يمكنك ان تعود الى عملك الآن.»
قال:«إزعاجك لي؟» وأطلق ضحكة خشنة قصيرة وهو يتابع:«تبا لك... أأزعجتني فقط؟ الا تعرفين ما الذي فعلته بي؟ يا جميلتي المخادعة السيئة؟»
اهتزت قائلة:«كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه الكلمات؟»
قال ساخراً:«آه، انني أجرؤ على ذلك لأنني اعيش الان في جحيم، يا عزيزتي مارغوت. لقد أحلت حياتي وخططي كلها الى فوضى ومع انني اعرف حقيقتك، فإن هذا لا يغيّر من الامر شيئاً. انني احاول ان احتقرك، ولكنني اشعر، في النهاية ان رغبتي بك تزداد.»
اقترب منها خطوة وهو يتابع:«وإذا كان الامر هو نفسه، بالنسبة إليك، يا حبي، فلا تدعي العكس. فأنا هنا هذه الليلة، لهذا الشيء. لأنك لا تستطيعين البقاء

بعيدة عني. ولقد سبق وقلت انني سأجعلك تأتين إليّ، وها انت ذي هنا.»
شهقت قائلةً:«كلا، هذا غير صحيح، انكِ مجنون.»
قال ساهما:«نعم اظنني مجنونا قليلا. فقد ابتدأت معركتي بمقاومتك، ولكنها انتهت بمقاومة نفسي، وليساعدني الحظ في ذلك.»
قالت بصوت مبحوح:«إنني سأرحل. سأخبر السيدة ان عليّ ان اعود الى انكلترا معتذرة بأزمة عائلية، او أي شيء آخر...»
قال بابتسامة ملتوية:«ربما تريدين العودة الى حبيبك، لكي تنقذي ما يمكنك انقاذه، ان كان هذا بإمكانك.»
هزت رأسها بوحشية وهي تقول:«ليس عند حبيب.»
قال:«كلا، ربما ستكون هذه هي الحقيقة في النهاية. مسكينة مارغوت.»
قالت:«لا تناديني بهذا الاسم، يا جيروم.» وازدردت ريقها وهي تقول:«ثمة اشياء عني اريد منك ان تعرفها.»
قال:«لقد سبق وعرفتها حتى قبل ان تضعي قدمك في فرنسا. لقد نويت ان اقضي بعض الوقت معك لكي ابرهن على انك فتاة رخيصة تذهب مع أي شخص كان.»
حملقت فيه غير مصدقة وهي تقول غاضبة:«ماذا تقصد؟ ما هذ الذي تقوله؟»
اجاب:«لقد مضى زمن الادعاء، يا جميلتي، ولنكن الآن صادقين مع بعضنا البعض.» وخشن صوته

وهو يتابع:«لقد وقعت في الفخ الذي نصبته لك، يا مارغريت. لقد سحرتني انا ايضا، لقد تسللت الى اعماقي، واستوليت على روحي.» ونظر إليها بعينين نهمتين وهو يتابع قائلا:«ولكن، ربما إذا استوليت عليك بطريقتي، يبطل هذا الافتتان، وأسترد حريتي، وعقلي.»
قالت بصوت مختنق:«كلا.» واستدارت تبغي الهرب، ولكن قدمها اشتبكت بطرف معطفها فتعثرت، وفي تلك اللحظة امسك بها جيروم ليجذبها إليه بيدين قاسيتين. قاومته بضراوة، وهي تضربه بقبضتيها على صدره. لكنها، وهو يشد عليها ذراعيه ابتدأت تشعر بخفقان قلبها يتصاعد، متجاوبا مع خفقان قلبه.
همس من اعماقه، وقد استحال العبوس والقسوة في وجهه، الى رقة بالغة، وكان همسه حافلا بالمشاعر:«مارغريت.» واستدار وجهها إليه كالزهرة التي تتفتح امام الشمس.
عندما شدها الى صدره، ثم حملها بين ذراعيه، لم تمانع ولم تبد أي مقاومة وهو يسير بها صاعدا الى غرفتها ليضعها في سريرها، ثم يستلقي بجوارها.
استلقت ميغ في السرير، وهي تضغط بقبضتها على فمها المرتجف، شاعرة رغم اغماضها عينيها، بأنه لم يعد بجانبها. تجرأت اخيرا وفتحت عينيها تبحث عنه، لتراه واقفا قبالة النافذة، موليا إياها ظهره، وقد أزاح الستائر وفتح المصراعين ومضى يحدق في اول خيوط الفجر وهي تبدو من ناحية الشرق.

عاد بها الزمن دقائق الى الوراء... لترى نفسها تصرخ متوترة، لتسكت لاهثة وقد تدحرجت الدموع على خديها.
هتف بها بسرعة وهو يقول مذهولاً:«ماذا جرى؟ ماذا حدث لك يا عزيزتي؟»
عضت على شفتها بقوة وهي تقول بصوت مرتجف:«لا اعرف... لم يسبق لي ان...»
جمد في مكانه فجأة وهو يحملق فيها غير مصدق ويقول:«ماذا تقولين؟ هل ما زلت...؟ أممكن هذا؟ تبا لي.»
ازداد انهمار دموعها وهي تقول:«انني آسفة. لا تغضب مني، ارجوك.»
بقي صامتاً برهة، ثم قال بهدوء:«انني لست غاضباً.»
ثم رفعها بين يديه برفق، وأرقدها على الوسادة وهو يبعد خصلات شعرها، المبللة بدموعها عن وجهها ثم يمسح تلك الدموع بطرف ملاءة السرير.
لم يكن يفصل بينها وبينه، حيث كان يقف الآن سوى مترين، ولكنها شعرت وكأنها تنظر إليه عبر امتداد الكون بأجمعه.
تنهد وهو يلتفت إليها قائلاً:«والآن، اخبريني عن حقيقتك، ومن انت بالضبط.»

الفصل الحادي عشر

كان الصمت في الحجرة، لا نهاية لعمقه.
قال بصوت هادىء وكأنه رجل غريب:«إنني بالإنتظار. من الواضح انك لست مارغوت ترانت، ولكن من انت؟»
اجابت وقد جف فمها:«اختها غير الشقيقة. إنني... إنني مارغريت ايضا... مارغريت لانغتري. لقد حاولت ان اخبرك بذلك في غرفة المكتبة منذ فترة. ولكنك قلت... لقد جعلتني أظن بأنك تعلم.»
قال:«آه، هذا صحيح، ولكن هدفينا كانا متعاكسين، ولكن ما هو سبب هذا التنكر؟»
اجابت:«لم تتمكن مارغوت... من الحضور، فطلبت مني ان احضر بدلا منها.»
قال ساخراً ببرود:«انك تتكلمين وكأن الأمر غاية في البساطة. لماذا إذن اخفيت شخصيتك الحقيقية مدعية بأنك فتاة اخرى؟»
اجابت:«لا يمكنني إيضاح الامر...»
قال برفق:«حاولي...»
اجابت:«لم تكن مارغريت راغبة في ان تظن خالتها بأنها لا تهتم بها.»
قال:«مع ان هذا كان هو السبب الحقيقي.»
قالت:«ليس تماما. لقد كان عندها اسباب قوية تمنعها من مغادرة انكلترا.»

قال:«بالطبع. من الواضح ان السبب هو ذلك الحبيب الذي لم تعرفي كيف تصفينه عندما تحدثت عنه.»
وسكت لحظة، ثم عاد يقول:«لقد كانت القضية وصلت الى الذروة، فلم تجرؤ هي على الرحيل لكي لا يغير رأيه في غيابها، كانت بحاجة الى البقاء للتشبث به... لكي تستمر في الضغط عليه.» فكرت بتعاسة ان هذه هي الحقيقة فعلا. ولكنها قالت:«اظن، هذا هو السبب.»
قال:«وكنت انت سعيدة في مساعدتها في هذا الامر.»
اثارت سخريته اعصابها بينما تابع:«لقد كنت غاية في البلاغة وأنت تنتقدين جدي، بينما لم يزعجك ان تتعاوني معها في تحطيم حياة زوجية.»
حملقت ميغ فيه وراحت تسأله بلهجة هي مزيج من الارتباك والتعاسة:«هل تعرف شيئاً عن هذه القضية؟»
قال:«نعم اعرف، فإن كيرين كيرتيس الزوجة هي ابنة عمي. وقد نشأنا معاً كأخ وأخت. وعندما رأيتها آخر مرة كان واضحا انها كانت متكدرة جدا من شيء ما. وفي النهاية، جعلتها تفضي إليّ بالأمر.» وكسا ملامحه العبوس وهو يتابع:«وعند ذلك سمعت للمرة الثانية، باسم مارغوت ترانت.»
قالت ميغ وهي ترتجف:«للمرة الثانية؟ آه، اظن ان السيدة قد تحدثت إليك عنها.»
قال ساخراً بصوت اقرب الى الوحشية:«نعم، إبنتها الروحية وقريبتها الوحيدة... والتي لم ترها منذ سنوات كثيرة... لأنها لم تشعر نحوها بالمودة منذ كانت طفلة.

رأت فيها صورة والدتها التي كانت لا تحبها. فقد كانت تشعر بأنها لم تكن عادلة معها فأرادت ان تصلح من خطأها. وعندما اخبرتني كيرين عن قضية زوجها، تمنيت ان لا تكون هي نفس الفتاة. وكانت ابنة عمي مقتنعة بأنها لا تكن له حبا حقيقيا، بل تريده لتحقيق طموحها فقط. وقد تحققت مخاوفها. ما قمت به من استعلام عن تلك الفتاة إذا لم اجد من يذكر الآنسة ترانت بكلمة حسنة. فقد كانت قاسية انانية تبحث عن المال ولا يهمها سوى مصلحتها. وقد كنت اتألم لحالة السيدة مارغريت بقدر ما كنت اتألم لحالة ابنة عمي. فقد كنت اشعر بمدى شعورها بالوحدة ولحاجتها الى إعادة الصلة بتلك الفتاة. ولكنني كنت اعرف ان صغيرتها مارغوت غير أهل لكل ذلك.»
قالت ميغ:«ولكنك لم تقل شيئا. ألم تخبرها؟»
اجاب:«لم يكن بإمكاني ذلك، فقد توسلت إليّ كيرين بأن لا أذكر شيئا عن متاعبها هذه، فقد كانت مستميتة في سبيل إنقاذ زواجها، ومقتنعة بأن ستيفن لا بد سيعود إليها، وعندما قررت السيدة دعوة مارغوت الى هنا، بدا لي اننا سنصيب عصفورين بحجر واحد. إذ أنها، السيدة، سرعان ما ستكتشف حقيقة الفتاة فتراها على حقيقتها.» ولانت ملامح وجهه وهو يعلق على قوله ذاك، قائلا:«ان فقدانها لبصرها قد قوى من حواسها الاخرى من نواح متعددة. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فإن حضورها الى هنا من ناحية، ومن ناحية اخرى فإن حضورها الى هنا يفصلها عن

ستيفن كيرتيس. وكانت كيرين متأكدة من ان الفتاة ليست مخلصة في حبها لستيفن، ولكنها كانت بحاجة الى إثبات ذلك.» ولوى فمه ساخراً وهو يتابع:«وهكذا صممت على ان احقق لها ذلك، وأن أبرهن على انها فتاة مخادعة تذهب مع أي كان، وهذا بإغوائها بنفسي.» واستطردت بصوت عنيف:«إنما ما لم اضعه في حسابي هو انت.»

اخترقت كلماته قلبها كطعنة سكين. إذا كانت هي قد قامت بتمثيل دور زائف، فقد فعل هو ايضاً نفس الشيء. هل كانت نظرة منه، كل همسة، كل لمسة... هل كان كل هذا ادعاءً وكذباً. وذلك للإيقاع بها؟ انه يقول كل هذا بنفسه. ان ذلك الحبيب الذي أخذها بين ذراعيه لم يكن له وجود مطلقاً. وإذا كان له وجود فهو حبيب تلك الفتاة الموجودة في مسكنه.

تمنت الموت وهي تفكر في أنه لم يرغب قط فيها. سمعته يقول:«لماذا فعلت ذلك؟» ولملمت بقايا كبريائها... واحترامها لنفسها لتقرر، وقد برّح بها العذاب. يجب ان لا تدع جيروم يعلم ابداً مقدار نجاحه في خداعها بادعاء الحب لها. يجب ألا يدرك، مهما كان الامر، انها واقعة بغرامه.

اجابته قائلة:«لم يكن لديّ خيار. فقد كانت هناك ضغوط متعددة علي لم تترك لي مجالاً للرفض.»

قال ببرود:«انك، دون شك، عاطلة عن العمل، طبعاً. وهذا الذي جعل من السهل قدومك الى هنا. أليس كذلك؟ وقد دفعت لك مارغريت مصاريفك.»

انغرزت اظافرها في راحتيها وهي تقول:«انك جعلتني، بكلامك هذا، ابدو كمرتزقة. ولكن السبب لم يكن هذا فقط.»

رفع جيروم يده يقاطعها قائلاً:«اعفيني من ذكر البقية.» وسكت لحظة وقد بانت المرارة في ملامحه، ثم تابع يقول:«كان عليّ ان اعلم انك مخادعة. فقد كان ثمة تناقضات كثيرة مثل قدرتك على التكلم بالفرنسية، وفشلك في الطباعة على الآلة الكاتبة... كل هذا كان ينبغي ان يدلني على انك لستِ الفتاة التي أدعيت.» وأشار بملل الى الفراش قائلاً:«ولكن، ما الذي جعلك تستمرين بهذه اللعبة الى هذا الحد، ايتها الحمقاء. هل ظننت انك ستكونين في النهاية رابحة؟»

احنت ميغ رأسها وقد برح بها الألم واليأس، قالت بصوت لا حياة فيه:«اظن... انني لم ادرك...» ولم تقل له ان حبها له اعماها عن كل شيء.

سألها:«وأين هي إذن، شقيقتك الجميلة تلك؟»

اجابت:«ليس عندي فكرة.» وترددت، ثم سألته:«إنك تعلم، طبعاً، ان كيرين تركت زوجها وأطفالها.»

اجاب:«نعم. لقد ارادت ان ترى ما إذا كان العنف قد يعيد زوجها الى عقله، وليس لأنها كانت سعيدة بأن تترك صغارها لرحمة مارغوت.»

قالت ميغ:«ان مارغوت لم تأخذ الاطفال، وهم الآن في أمان عند مربيتي العجوز، كما ان ستيفن كيرتيس قد ذهب ليبحث عن زوجته. وبهذا، يبدو ان خطتها قد نجحت.»

www.rewity.com DAY AHEEN

لاحت على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يقول:«الامور إذن ابتدأت في التحسن من ذاتها، باستثنائك انت.»
ردت عليه بحدة:«ارجوك ان لا تشغل بالك بأمري، ففي إمكاني العناية بنفسي.»
قال بنفادُ صبر:«لا تتكلمي كالحمقى. فليس في إمكاننا ترك الامور كما هي. ما زال هناك الكثير للحديث عنه...»
قالت:«على العكس، فقد تحدثت بما فيه الكفاية. وأيضا فعلت ما فيه الكفاية.» ونطقت كلماتها الاخيرة بالمرارة البالغة.
مشت نحو منضدة الزينة وفتحت درجها، وعندما عادت كانت العلبة المخملية التي تحوي الدبوس الحلية في يدها وهي تقول:«هذا هو العمل الوحيد الذي لم ينته بيننا.» وألقت بالعلبة إليه وهي تتابع:«وهذا هو نهاية كل شيء فاخرج من هنا.» غصت بريقها وهي تغالب دموعها، ثم استطردت:«عد الى حيث تنتمي، يا سيد مونتكورت.»
اقترب منها خطوة وهو يقول:«مارغريت.»
لكنها لم تتراجع ومضت تقول صارخة:«هيا اذهب، ودعني بسلام.»
اطلق ضحكة كلسعة السوط وهو يقول:«بسلام؟ تباً لك، أي سلام سيتمتع به أيّ منا بعد الآن؟»
نظرت إليه وهو يسير نحو الباب بخطواته الواسعة الرشيقة، ليخرج من حياتها الى الأبد.
عادت تقول للغرفة الفارغة:«وهذه هي نهاية كل

شيء.» وانخرطت في البكاء. عليها ان تبتعد من هنا. كانت هذه هي الفكرة التي سيطرت على ذهنها وهي تقوم بعملها الصباحي المعتاد، من استحمام وارتداء الملابس، بحركات آلية.
لا يمكنها البقاء والتعرض للعذاب برؤية جيروم كل يوم وهي تعلم انه يحتقرها، بينما تتذكر كيف ان تلك السعادة التي وجدتها بين ذراعيه، جعلتها تظن ان كلا منهما ينتمي الى الآخر. ما كان اغباها. حسنا، لقد تلقت درسا الآن. وهي على كل حال، سترى السيدة دي بريسو بعدما ظهر سرّها الآن. وعليها ان تخبرها بالحقيقة قبل ان يفعل ذلك جيروم.
ولكن تلك المحنة كانت مؤجلة الى حد ما، إذ ان السيدة تناولت، ذلك الصباح، فطورها في غرفتها، وكان عليها ان تنتظر خروجها الى غرفة الجلوس، قبل ذلك. كان لا بد لها من ان تقوم بذلك العمل قبل ان يقوم به جيروم اولا. وعضت على شفتها وهي تتصور ردة الفعل عند السيدة عندما تعلم بهذا الخداع الذي تعرضت له.
لكنها عندما نزلت الى الطابق الاسفل، اخبرتها فيليبين ان جيروم ليس هناك، وأنه ذهب في سيارته منذ ساعتين. وأضافت فيليبن بعنف:«كان يقود سيارته كالريح.»
دهشت ميغ وقالت:«ألم يقل متى سيعود؟»
هزت فيليبين كتفيها قائلة:«كان يبدو عليه الاستياء، فلم يكن في إمكان احد ان يوجه إليه أي اسئلة.»
سارت ميغ الى غرفة المكتبة مكرهة، كان عليها ان

تسترجع معطفها المنزلي الذي سقط الليلة الماضية هناك عندما حملها بين ذراعيه الى غرفتها، وذلك قبل ان تدخل الخادمة التي تأتي من القرية لتنظيف المنزل. الى غرفة المكتبة قبلها. وطوته. ولم تستسغ فكرة حملها له بشكل مكشوف الى غرفة نومها، امام عيني فيليبين الحادتين.

نظرت حولها في الغرفة وقد أحست بغصة وهي تتذكر كل كلمة قالها لها جيروم، الليلة الماضية. لقد اتهمها بأنها فتنته، وقال (لقد وقعت في الفخ الذي كنت نصبته لك...) وكادت تسمع صدى صوته تعيده الجدران وهو يقول (انني احاول ان احتقرك، ولكنني اشعر، في النهاية، ان رغبتي بك تزداد.)

ولكن، لم يكن ثمة فائدة من استخلاص أي بارقة أمل من وراء كلامه ذاك، لأنها، كما اخذت تفكر، لم تكن تفتش عن الرغبة عند جيروم بل الحب. وهي الآن، في نظره، لا تفرق عن مارغوت، إن لم تكن اسوأ، هذا عدا انه مرتبط بامرأة غيرها... امرأة حاول ان يتجاهلها، ولكنها، لم تستطع ذلك.

كان افضل ما يمكنها عمله هو، ان تعود الى غرفتها لتخرج امتعتها حتى إذا ما طلبت منها السيدة، الرحيل، تكون على اتم الاستعداد.

رأت على المكتب، حافظة الاوراق التي كان قد تركها جيروم الليلة الماضية. وقررت ان تستعيرها لتضع فيها معطفها المنزلي. وعندما اخرجت الاوراق من الحافظة، لتضعها على المكتب تناثر بعضها على الارض وعندما

التقطتها، ألقت عليها نظرة عابرة، وكانت تعرفها لأنها كما سبق وقال عنها إنها عروض من الحرفيين... النجارين والبناءين والمختصين. بالتمديدات الصحية. وشهقت ميغ بذعر وهي ترى المبالغ التي يطلبونها. وتساءلت عما إذا كان في إمكان العمة توفير مثل هذه المبالغ الطائلة.

وبينما كانت تنظم الاوراق في رزمة واحدة، رأت ان نفس عناوين الصفحات تتكرر، فأدركت ان بعض تلك العروضات كانت مكررة. وافترضت ان نسخة منها كان من المفروض ان تسلم الى السيدة، بينما يحتفظ جيروم بالنسخة الثانية.

ولكنها جمدت في مكانها وهي تضع ورقتين تقدمان نفس العرض، من نفس المتعهد، وذلك الواحدة بجانب الاخرى. وعقدت حاجبيها. كان العمل واحداً في العرضين. المبلغ المطلوب في كل منهما كان يختلف عن الآخر. كان الفرق شاسعاً بين الاثنين يبلغ مئات الألوف من الفرنكات وكان المئة ألف فرنك تساوي ألف جنيه استرليني كما كانت ميغ تدرك.

اخذت تقابل بقية العروض بيدين ترتجفان. وشعرت بما يشبه الغثيان. كان التفاوت بين كل نسختين هو، تقريباً، في البقية.

تهالكت على كرسي قريب، وهي تفكر ثائرة. كلا. لا يمكن هذا، هذا غير معقول.

ورأت الصفحة التي كان يكتبها عندما دخلت عليه، وتذكرت كيف طواها بسرعة مبعداً إياها عن ناظريها

وهو يقول:«ان السيدة مارغريت قد نفد صبرها وتريد ان يبدأ العمل توا.»

فكرت ميغ في نفاد الصبر ذاك الذي جعلها تتقبل بكل ثقة، أي رقم يعرضه عليها حفيد الرجل الذي أحبت، ذات يوم، وذلك دون أي مناقشة. عندما تدفع المال لأولئك الصناعيين، يشاركهم جيروم بها أخذاً حصته. دون ان تشتبه السيدة دي بريسو بشيء، لأنه هو جيروم... جيروم.

شعرت بهذه الحقيقة التي توضحت أمامها تخنقها، وهي تراه يدينها، اخلاقياً، لادعائها ذلك الذي يبدو الآن في غاية البراءة إذ يقابل بعمله هو. ودفعت الاوراق بعيداً عنها باشمئزاز. لقد تجرأ على ان يسميها بالمخادعة. حسناً، لقد كان مخادعاً هو ايضاً. وبشكل مضاعف. لقد كان عمله هذا احتيالاً على سيدة مسنة نصف عمياء. سيدة يدعي انه يحبها ويحترمها.

اشتدت قبضت يدها وهي تتمتم، منافق... لص. يجب ان لا يفلت من العقاب. انها ستذهب الى منزله الآن لتواجهه بكل هذا، وكذلك تلك المرأة التي معه، وتهدده بفضحه لدى السيدة، ولدى الشرطة ايضاً إن لم يتلف العروضات الزائفة.

اعادت الاوراق الى الحافظة، وعادت الى غرفتها تاركة معطفها على المكتب وهي تفكر عابسة، ان على ذلك المعطف ان ينتظر، وكانت تعبر الردهة قاصدة السلم، عندما اندفع الباب الخارجي مفتوحاً بعنف، لتتدفق اشعة الشمس تغمر الردهة تلك وقد وقف جيروم في وسطها.

كان يبدو منشغل البال، وقد بدا التعب والارهاق على وجهه، ورغم كل شيء، قفز قلب ميغ لرؤيته. وزجرت نفسها بازدراء لمشاعرها الحمقاء تلك.

ووقف فجأة لرؤيتها، ثم قال بهدوء:«كنت ارجو ان اراك. انني بحاجة للتحدث اليك.»

قالت:«وأنا اريد ذلك ايضاً. على ان يكون ذلك في مكان لا يسمعنا فيه احد.»

بدا العبوس على ملامحه وهو يرى حافظة الاوراق في يدها، وقال:«لقد جئت لأخذ هذه، ما الذي تصنعينه بها؟»

اجابت:«دعنا نتحدث عن ذلك على انفراد.» ومشت امامه الى غرفة الطعام، ثم اغلقت وراءهما الباب الثقيل. ثم اخرجت مجموعتين من الاوراق صفتها جنباً الى جنب، على الطاولة. ثم قالت:«كم تبلغ حصتك المئوية من هذا، يا سيد مونتكورت؟»

ارتفع حاجباه بعجرفة وهو يقول:«ماذا تقصدين؟»

قالت:«انني اقصد سلبك لأموال امرأة مسنة، امرأة تظن ان الشمس والقمر يأخذان نورهما منك، بينما تتلاعب انت والآخرون بها، بهذا الشكل المشين.»

وارتفع صوتها بحدة وهي تقول:«ومع ذلك تجرؤ على ان تتحدث معي عن الخداع؟»

توتر فمه وهو يتقدم نحو المنضدة قائلاً:«هل رأيت العروض؟»

اجابت وهي تقف بينه وبين الاوراق الثمينة:«كلا.»

وقف وعدلت شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يرى

www.rewity.com RAYAHEEN

وهو يقول:«ان السيدة مارغريت قد نفد صبرها وتريد ان يبدأ العمل توا.»

فكرت ميغ في نفاد الصبر ذاك الذي جعلها تتقبل بكل ثقة، أي رقم يعرضه عليها حفيد الرجل الذي أحبت، ذات يوم، وذلك دون أي مناقشة. عندما تدفع المال لأولئك الصناعيين، يشاركهم جيروم بها أخذاً حصته. دون ان تشتبه السيدة دي بريسو بشيء، لأنه هو جيروم... جيروم.

شعرت بهذه الحقيقة التي توضحت أمامها تخنقها، وهي تراه يدينها، اخلاقياً، لادعائها ذلك الذي يبدو الآن في غاية البراءة إذ يقابل بعمله هو. ودفعت الاوراق بعيداً عنها باشمئزاز. لقد تجرأ على ان يسميها بالمخادعة. حسناً، لقد كان مخادعاً هو ايضاً. وبشكل مضاعف. لقد كان عمله هذا احتيالاً على سيدة مسنة نصف عمياء. سيدة يدعي انه يحبها ويحترمها.

اشتدت قبضت يدها وهي تتمتم، منافق... لص. يجب ان لا يفلت من العقاب. انها ستذهب الى منزله الآن لتواجهه بكل هذا، وكذلك تلك المرأة التي معه، وتهدده بفضحه لدى السيدة، ولدى الشرطة ايضاً إن لم يتلف العروضات الزائفة.

اعادت الاوراق الى الحافظة، وعادت الى غرفتها تاركة معطفها على المكتب وهي تفكر عابسة، ان على ذلك المعطف ان ينتظر، وكانت تعبر الردهة قاصدة السلم، عندما اندفع الباب الخارجي مفتوحاً بعنف، لتتدفق اشعة الشمس تغمر الردهة تلك وقد وقف جيروم في وسطها.

كان يبدو منشغل البال، وقد بدا التعب والارهاق على وجهه، ورغم كل شيء، قفز قلب ميغ لرؤيته. وزجرت نفسها بازدراء لمشاعرها الحمقاء تلك.

ووقف فجأة لرؤيتها، ثم قال بهدوء:«كنت ارجو ان اراك. انني بحاجة للتحدث اليك.»

قالت:«وأنا اريد ذلك ايضاً. على ان يكون ذلك في مكان لا يسمعنا فيه احد.»

بدا العبوس على ملامحه وهو يرى حافظة الاوراق في يدها، وقال:«لقد جئت لأخذ هذه، ما الذي تصنعينه بها؟»

اجابت:«دعنا نتحدث عن ذلك على انفراد.» ومشت امامه الى غرفة الطعام، ثم اغلقت وراءهما الباب الثقيل. ثم اخرجت مجموعتين من الاوراق صفتها جنباً الى جنب، على الطاولة. ثم قالت:«كم تبلغ حصتك المئوية من هذا، يا سيد مونتكورت؟»

ارتفع حاجباه بعجرفة وهو يقول:«ماذا تقصدين؟»

قالت:«انني اقصد سلبك لأموال امرأة مسنة، امرأة تظن ان الشمس والقمر يأخذان نورهما منك، بينما تتلاعب انت والآخرون بها، بهذا الشكل المشين.»

وارتفع صوتها بحدة وهي تقول:«ومع ذلك تجرؤ على ان تتحدث معي عن الخداع؟»

توتر فمه وهو يتقدم نحو المنضدة قائلاً:«هل رأيت العروض؟»

اجابت وهي تقف بينه وبين الاوراق الثمينة:«كلا.»

وقف وعدلت شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يرى

www.rewity.com RAYAHEEN

وقفتها المتحدية، وهو يقول:«شكراً لهذا، على الأقل.»
حملقت فيه قائلة:«أهذا كل ما عليك ان تقول؟»
هز رأسه وهو يقول بابتسامة ملتوية:«هل تنتظرين مني ان اقدم بعض الاعذار آدافع بها عن نفسي؟ كلا يا جميلتي، وظني بي ما تشائين.»
قالت:«وإذا انا اخذت هذه الاوراق الى السيدة؟»
اجاب:«لا يمكنني منعك من ذلك. ولكنني ارجو ان لا تفعلي، لأن هذا يسبب لي... مشاكل.»
اهتز صوتها وهي تقول:«ان ذلك ما تستحقه. انك تستحق ان تذهب الى السجن بقية حياتك. لقد وثقت بك السيدة لأجل جدك. فاستغللت انت ذلك لتكتسب ثقتها وعواطفها. انك إنسان حقير.»
شحب وجهه وظهر التوتر على فكه وهو يقول:«هل انتهيت؟»
اجابت:«انني لم ابدأ بعد. كيف امكنك القيام بهذا العمل، يا جيروم، كيف استطعت ان تعاملها بهذا الشكل؟ انك لست في حاجة الى مال.» ومدت إليه يديها بضراعة وهي تتابع:«دعني افهم كل هذا؟»
قال بصوت بارد كالثلج:«اظن هذا مستحيلا. وعلى كل حال، لماذا تريدين ان تعرفي؟»
لم تستطع ان تقول انها تريد معرفة ذلك لأنها تحبه ولأن قلبها يناديه، ولأن هذا يخالف كل ما تعرفه عنه. ولأن احلامها تحطمت وتريد إصلاحها.
وبدلا من ذلك، حنت رأسها وهي تقول ببطء:«لا يوجد سبب.»

قال:«هل لي إذن، ان آخذ اوراقي على ان تضمني عدم تدخلك في هذه القضية بعد الآن؟»
شعرت بشيء ما يموت في اعماقها، وقالت بفتور:«انني كما سبق وقلت لي نفس الكلمات، لا استطيع منعك من أخذها. ولكنني لن التزم الصمت. لقد عاملتني السيد معاملة غاية في الرقة والطيبة، وأنا لا اريد ان اقابلها بالتجاوز عن محاولة غشها واستغلالها بهذا الشكل.»
قال:«اذهبي إليها، اذن وانظري إذا كانت تصدقك.»
عضت ميغ شفتها وهي تقول:«ولكنني لا اريد لها ان تتألم ايضا. وسيتملكها اليأس كذلك.» وسكتت برهة ثم قالت:«ولكن هنالك بديلا لذلك.»
نظر إليها ساخرا وهو يقول:«يا للذكاء يا عزيزتي. هل ستخبرينني عن البديل، هذا؟»
قالت:«اريدك ان تنفض يدك من هذا الموضوع. اعتذر بأي شيء للسيدة، ودعها تستخدم مهندسا آخر.»
قال:«وما الذي سيحدث لي أنا؟ هل اختفى هكذا، بكل بساطة، وأعود الى باريس كما فعل جدي؟» وهز رأسه قائلا:«كلا. لا اظن ان اوكتافيان سيغيش بعد ردة فعل اخرى.»
قالت:«فكر في أي شيء. وسيكون من الافضل، على المدى الطويل، بالنسبة للسيدة، ان تبتعد انت عن القصر تماما.»
لوى فمه وهو يقول:«يبدو انك تدبرت امر كل شيء. ولكنني لا أظن اخطاءك هذه ستنفع، لأنني لا انوي

تجنب قصر هاوت ارينيك الآن ولا في المستقبل، ولا أظن ان السيدة تريدني ان افعل ذلك.»
قالت:«حتى ولو عرفت حقيقتك.»
قال:«حاوليْ ان تخبريها بكل شكوكك. قد تستاء قليلاً، ولكن هذا لن يدوم.»
قالت بخشونة:«ان غطرستك لا تحتمل.»
هز كتفيه قائلاً:«انها تثق بي اكثر مما تثقين بي انت، يا جميلتي، وهذا هو كل شيء. ولكننا على كل حال، اصبحنا نفهم بعضنا، أليس كذلك؟»
ومشى نحو الاوراق، فجمعها ووضعها في الحافظة ثم دسّها في يدها وهو يقول محنيا ظهره لها باحترام:«مع تحياتي.»
حملقت فيه بدهشة وهي تقول:«هل... هل هذا كل شيء؟»
اجابها وهو يأخذها بين ذراعيه:«بقي هذا.» وكان احتضانه لها طويلا حارا وكأنه كان يريد ان يؤثر بها في اعماق نفسها الى الأبد. ولم تقاوم هي، وعندما تركها، اخذت تنظر إليه وهو يبتعد دون ان يلتفت خلفه
عندما انهت ميغ حزم امتعتها، نزلت الى الطابق الاسفل حيث كانت السيدة دي بريسو واقفة في الشرفة المؤدية الى الحديقة. وسألتها:«هل كانت سيارة جيروم التي سمعت صوتها منذ فترة؟»
اجابت ميغ مكرهة وهي تشعر بالتعاسة:«نعم.» ربما كانت قد تحررت من أي وهم تجاهه، كما سبق وقال

هو، ولكن كيف يمكنها ان تخبر هذه المرأة، التي تحبه كابن لها، بأنه لا يفرق كثيرا عن اللص؟
قالت السيدة:«لا بد انه كان مستعجلا، وأظنه احضر إليك اوراقا اخرى للطباعة.» وضحكت برقة وهي تتابع قائلة:«إنه مستعجل على البدء بهذا العمل اكثر مني. ولكن هذا مفهوم.»
قالت ميغ بحذر في محاولة للابتداء بالموضوع:«إنها ليست اوراق للطباعة، بل بعض العروضات من متعهدي الاصلاحات. وقد فكرت في انك ربما تحبين ان تريها.»
اجابت السيدة بدهشة:«حسناً. ان هذه الاشياء تستدعي كثيراً من التفكير والتأمل. ولكن جيروم سبق وبحثها معي.»
ابتسمت مستطردة:«لقد احضر لي صينية الفطور هذا الصباح، انه يفعل هذا غالبا عندما يمضي الليل هنا، ثم ابتدأ يقرأ هذه الارقام بعد ذلك.»
ازدردت ميغ ريقها قائلة:«هل فعل ذلك؟ ولكنه تركها معي. لقد ظننت...» وسكتت برهة، ثم اندفعت تقول:«هل كانت الارقام مرضية بالنسبة لك؟»
قالت السيدة:«إنها افضل كثيراً مما كنت ارجو.» ودست يدها في حقيبتها المعلقة في ذراع كرسيها، وأخرجت ورقة مطوية دفعتها الى ميغ قائلة:«انظري بنفسك، يا صغيرتي.»
نظرت ميغ. وكانت الاوراق المدوّنة بخط جيروم الذي لا يمكن ان تخطئه العين، هي الارقام القليلة. سألت

بتردد:«هل انت متأكدة من انها ارقام صحيحة؟»
اجابت السيدة:«نعم. نعم. وقد كان مستعداً لأن يريني النسخ الاصلية ولكنني توسلت إليه بأن يعفيني من ذلك.» واستندت الى وسادتها خلفها راضية وهي تقول:«عندما انتهى من دفع نصيبي من تكاليف التصليح، عند ذلك سأرتاح تماما.»
سألتها ميغ بذهول:«حصتك؟ انني لم افهم تماماً. اتعنين انك لا تدفعين تكاليف الاصلاحات هذه كلها؟»
وتوقفت عن الكلام قائلة:«إنني آسفة إذ أوجه إليك هذه الاسئلة التي لا تعنيني.»
هزت السيدة كتفيها قائلة:«ان هذا لا يهم. فهو ليس سراً في الحقيقة. وأنت تقريبا، عضو في الاسرة على كل حال. انني أدفع حصة من التكاليف، يا طفلتي، مع ان جيروم لم يكن يريدني ان ادفع شيئاً ابداً. ولكنني اصريت. لقد جعلت ذلك، في الحقيقة، شرطاً لإتمام البيع.»
قالت ميغ ورأسها يدور:«البيع؟»
اومأت السيدة برأسها قائلة:«نعم البيع، وستوقع الاوراق نهائيا آخر هذا الاسبوع. وبهذا سيصبح قصر هاوت ارينياك. ملكاً لجيروم.» وابتسمت وهي تتابع:«وبهذا يتحقق اول احلامي.»
بادلتها ميغ الابتسام بضعف، بالنسبة إليها هي، لم تكن ثمة احلام، بل كابوس حقيقي... وبالألوان الطبيعية.
لقد تسرعت حقاً في توجيه كل انواع الاتهامات الى

جيروم زيفاً وبهتاناً. ونعتته بأشنع الاوصاف مما لا يغتفر، بينما هو لم يكلف نفسه عناء الدفاع عن نفسه. وكان يمكنه ذلك بسهولة وإفهامها الأمور، ولكنه لم يهتم بذلك بما فيه الكفاية، وذلك لأنه. لم يكن يهتم برأيها به، وهذه هي الحقيقة المحزنة. لم يكن حبها او كراهيتها لجيروم تعني له شيئاً، وتصرفه هذا هو أكبر برهان في ذلك. وغمرتها تعاسة لا نهاية لها.
مالت السيدة الى الأمام تربت على يدها قائلة:«وما زالت لدي آمال اخرى.»
قالت ميغ وهي تنظر الى يديها المتشابكتين:«اخشى ان تنتهي آمالك تلك بالخيبة.»
زمّت السيدة شفتيها امتعاضاً وهي تقول:«لقد لاحظت ان العزيز جيروم كان مشغول البال هذا الصباح. أرجو ان لا تكونا قد تشاجرتما. هل تقلدت الدبوس هذا الصباح؟»
ألقت ميغ نظرة على قميصها القطني البسيط وهي تقول:«انه لا يتناسب مع ثيابي البسيطة هذه.»
وسكتت برهة مترددة، ثم قالت:«سيدتي العمة. هنالك شيء يجب ان تعرفيه.»
فقالت السيدة:«وما هو يا عزيزتي؟»
وجذبت ميغ نفساً عميقاً، مهدئة بذلك اعصابها، ولكنها قبل ان تبدأ في الكلام، تصاعد صوت خطوات فيليبين قادمة نحوهما وهي تقول:«عفواً سيدتي، ويا آنستي.» ومضت تنقل نظراتها بين المرأتين مترددة وقد بان الجد على وجهها بشكل

غير عادي، لتستطرد قائلة:«ولكن، هنالك زائرة.»
قالت السيدة:«انني لا اتوقع زوارا.» وسكتت لحظة، ثم عادت تقول:«أليس لتلك الزائرة إسم؟»
قالت فيليبين وقد بان القلق على ملامحها ومالت عيناها نحو ميغ في ارتباك واضح. قالت:«نعم يا سيدتي انها تقول... تقول ان إسمها الآنسة برانت. الآنسة مارغوت ترانت.»

الفصل الثاني عشر

ساد صمت لا حد لعمقه، وتضرّج وجه ميغ الى منابت شعرها وهي تحاول، مستميتة ان تفكر في شيء تقوله، ولكن تعاستها المفاجئة عطلت ذهنها عن التفكير.
اخيرا، قالت السيدة:«ان هذا شيء مثير. دعيها تدخل يا فيليبين واحضري القهوة بعد ذلك.»
عندما ذهبت فيليبين ممتثلة، قالت ميغ بسرعة:«دعيني اوضح لك يا سيدتي...»
قالت السيدة وهي تسوّي من نظارتها القاتمة وتدير وجهها نحو الباب:«في ما بعد، يا طفلتي.»
بعد لحظة، برزت مارْغوت محاطة بهالة مسرحية كانت تبدو فاتنة واثقة بنفسها بشكل لا يصدَق، وهي تقف في بنطالها الضيق وقميصها الحريري، وحزام من الجلد برونزي اللون يحيط بخصرها النحيل ويماثله في اللون حذاؤها وحقيبتها المعلقة في كتفها.
تقدمت مارغوت برشاقة نحو السيدة ووضعت قبلة على وجنتها اليسرى وهي تقول:«أوه، ما اروع هذا، هل تخليت عني تماما؟» ونظرت حولها وهي تتنفس الهواء بنشوة، ثم تتابع قائلة:«بورك الهواء النقي، كيف لأحد ان يفضل سكن المدن؟» ووقع نظرها على ميغ التي كانت متجمدة في مكانها، فقالت:«مرحبا ميغ.» وركعت على ركبة واحدة قرب كرسي السيدة وهي تستطرد قائلة:«ارجو انك لم تمانعي في ان تأخذ ميغ

مكاني لعدة أيام، كان مما يبعث على الضيق الشديد ان تأخر طلب إجازتي التي قدمتها لكي أحضر الى هنا. وأرجو ان تكون هي قد اوضحت لك الأمر تماما.»

قالت السيدة:«هل كان الأمر كذلك؟ لقد فهمت.»

قالت مارغوت:«اتعنين انها لم تخبرك؟» ونظرت الى اختها تتصنع الذهول وهي تخاطبها قائلة:«انك فظيعة، يا عزيزتي. ما الذي جعلك تنسين ذلك؟ وعلى كل حال، ليس هذا بذي أهمية، فأنا هنا الآن.» وعادت تدير نظرها في ما حولها.

قالت السيدة بصوت بارد كالثلج:«من هي إذن، بالضبط تلك الفتاة الثانية التي كان لي سرور استضافتها؟»

وقفت ميغ لتقول بهدوء:«انني مارغريت لانغتري يا سيدتي. الأخت غير الشقيقة لمارغوت.»

قالت مارغوت:«ان ميغ عاطلة عن العمل، ففكرت في أنه قد ينفعها قضاء فترة في فرنسا. ولكنها افسدت هذه الفرصة في الاستغراق بتتبع اخبار الكاثار المندثرين وما أشبه. أليس كذلك يا حلوتي؟» وعادت تستدير نحو السيدة مستطردة:«ان آخر عمل اتخذته ميغ كان في مكتبة قديمة. وهكذا غرقت في بقايا التاريخ المندثرة.»

قالت السيدة بجفاء:«ربما هذا ما جعلها تتلاءم مع هذا المكان.»

قالت مارغوت:«حسناً، انني مسرورة إذ كانت ذات فائدة.» وخفضت من صوتها لتقول بلهجة ذات

معنى:«اتعلمين انها، في البداية، قد رفضت القدوم الى هنا؟»

قالت السيدة:«انك تحيرينني... آه، ها هي ذي القهوة قد احضرت. ربما بإمكانك يا ميغ، هل هذا اسمك؟ ربما بإمكانك ان تقومي بآخر واجب، كمرافقة لي، وتسكبي لنا القهوة. هل لك بذلك؟»

صعقت ميغ في البداية، ليستبد بها الغضب، بعد لحظة موشكة أن تسكب القهوة كلها من الابريق على رأس مارغوت ذي الشعر الاشقر المصفف بغاية الأناقة. ولكنها عادت تطيع بصمت، لقد تعمّدت اختها ان تجعلها تبدو بمظهر القريبة البالغة الفقر. وهذا ما جعلها تشعر بثورة بالغة، خصوصا بجعل مسألة انتحالها لشخصيتها، تبدو وكأنها فكرتها هي، وليست فكرة اختها.

سحبت مارغوت كرسيها الى جانب السيدة، وابتدأت تثرثر بمرح وطلاقة، وبدت بمظهر حسن بالنسبة الى امرأة قد تخلى عنها حبيبها منذ فترة قصيرة، ولكن ميغ لاحظت نظرة ساهمة في عينيها الزرقاوين وخطوطا ناتجة عن التوتر والقلق، حول فمها.

قد يكون الغيظ لهجران ستيفن كيرتيس لها، قد تملكها، ولكن قلبها لم يتحطم ابدا، كما بدا لميغ، لقد آلمتها الهزيمة ولكنها استعادت نفسها بسرعة لكي تتسلق طريقها الى القمة مرة اخرى، ومن وجهة نظرها، فإن ستيفن كيرتيس هو الخاسر.

ارتشفت ميغ قهوتها رغم الغصة في حلقها، يبدو انها

هي ايضاً ستكون خاسرة. فقد سبقتها مارغوت الى رواية قصتها بمنتهى الحذق، ولم يعد ثمة طريقة، الآن تجعلها تشرح للسيدة السبب الذي جعلها تقوم بهذا الدور المخادع، او تقدّم أي اعتذار عنه.

عندما سكتت مارغوت عن الكلام، قالت ميغ مخاطبة السيدة:«اسألك المعذرة في تجهيز امتعي للرحيل.» وترددت قليلاً، ثم تابعت:«وعلى كل حال، ليس ثمة سبب لبقائي هنا بعد الآن.» وكانت الكلمات تبدو، وهي تنطق بها، وكأنها تنتزع منها انتزاعاً.

اجابت السيدة بلهجة شاردة:«هذا صحيح. يوجد مكتب لسيارات الأجرة في قرية ارينياك فاطلبي من فيليبين ان تتصل بهم لإرسال سيارة لك. هل يناسبك ان يكون ذلك بعد نصف ساعة؟»

اومأت ميغ برأسها بشكل متوتر قائلة:«شكراً.»

تركت الشرفة رافعة الرأس وهي تشعر بعيني مارغوت تتبعانها. ولكن ساقيها كانتا تهتزان، ولكن ما الذي كانت تتوقعه في هذه الظروف؟ لقد كان من الواضح ان السيدة دي بريسو في غاية الاستياء، ومن يلومها على هذا؟

ابلغت فيليبين التي كادت تتفجر فضولاً، ابلغتها اوامر السيدة في ان تطلب لها سيارة اجرة، ثم احضرت معطفها المنزلي من غرفة المكتبة لتصعد بعد ذلك، الى غرفتها.

كانت تظن انه ستكون مسرورة لعدم قضائها ليلة اخرى هنا، وحوّلت ناظريتها عن السرير العريض

الحافل بالذكريات المؤلمة، إذ عادت الى ذاكرتها ليلة أمس لكنها ما لبثت ان طردت تلك التصورات من ذهنها وهي تتأوه بحزن بالغ، محدثة نفسها بأن عليها ان تركز اهتمامها على الاشياء العملية، وثمة الكثير منها. وقررت، بعد ان احصت ما بقي عندها من النقود، ان من الافضل اخذ سيارة اجرة الى مدينة آلبي، ثم، تستقل المواصلات العامة الى تولوز حيث المطار. إذ ما زال عندها نصف التذكرة المرتجعة، والمفروض ان تقدّم تاريخها المدوّن بعد حوالي الشهر، حتى ولو ذهبت واقفة في الطائرة.

وضعت التذكرة وجواز السفر في حقيبتها، وهي تتنهد.

جاءها صوت مارغوت التي كانت واقفة عند الباب يقول:«تأكدي من انك لم تنس شيئاً.»

خطت داخل الغرفة وهي تنظر حولها باشمئزاز وهي تستطرد قائلة:«هل هذه هي غرفة الضيوف؟ إذن، كيف تبدو بقية الغرف. على كل حال، ليس للشحاذين حق الاختيار وهذا مكان يصلح للاختباء الى ان تنتهي العاصفة.» ونظرت الى ميغ وهي تتابع:«اظنك سمعت عن الصعوبات البسيطة التي صادفتني؟»

اجابت ميغ:«نعم. ولكنني لم اتوقع انك ستأتين الى هنا، نتيجة لذلك.»

هزت مارغوت كتفيها قائلة:«والى أين اذهب إذن؟ اتعلمين ان السافلة قد ألقت علينا بأولادها الفظيعين؟ وهي تتحدث عن الانتقام؟»

قالت ميغ:«ولكن مربيتي هي التي تحمّلت كل هذا العبء.» وسكتت لحظة ثم تابعت تقول:«وبهذه المناسبة، ماذا جرى لاتفاقنا ذاك بالنسبة الى البيت؟»

تثاءبت مارغوت ثم قالت:«تباً لك، كم انت مملة احياناً. دعي ذلك ينتظر، من ذا الذي يهتم بذلك الآن؟»

اجابت ميغ بخشونة:«انا اهتم بذلك. إنني في الواقع، مهتمة بأشياء كثيرة. بعمتك مثلاً، وأيضاً بهذا المنزل.»

زمّت مارغوت فمها عابسة وهي تجيب:«انهما، هما الاثنين في طريق الفناء، كما أرى. كنت اظن ان المرأة العجوز تملك مالا.»

فكرت ميغ عابسة بأن المرأة العجوز ستحصل، قريباً على المال، وأن مارغوت، قد جاءت في الوقت المناسب تماما.

قالت:«ومع هذا، فقد شعرت كأنه منزل عشت فيه مدة طويلة.»

قالت مارغوت بحدة:«لا تكوني سخيفة، فأنت جئت الى هنا لتوّك.»

قالت ميغ:«لكي تكتشفي مكان انتمائك، لا يأخذ ذلك دائماً وقتاً طويلاً.»

قرعت فيليبين الباب قائلة:«لقد وصلت سيارة الأجرة يا آنسة. والسيدة تنتظرك لتودعك في الصالة.»

قالت مارغوت:«إذن، فأنا اتركك الآن لألقي نظرة على هذه الأنحاء.» وهزت كتفيها وهي تقول:«ماذا تراهم يفعلون هنا بالنسبة لحياة الليل، تباً لهم.»

انزلت ميغ حقيبتها الى الردهة في الطابق الاسفل. حيث كان السائق، وهو رجل قصير القامة متهدل الشاربين، كان ينتظر ليضع الامتعة في صندوق السيارة، ثم مشت نحو الصالة مكرهة، حيث كانت السيدة واقفة بجانب المدفأة الخامدة، وقد عقدت ذراعيها على صدرها، وبدا وجهها ساهما بعيداً عن الابتسام. وكان الوضع، كما رأته ميغ وهي تشعر بالتعاسة، كان لا يعدو وضع سيدة منزل تطرد مستخدماً غير مرغوب فيه.

قالت بهدوء:«انني اريد ان اشكرك يا سيدتي لكل ما ابديته نحوي من الإكرام. وإنني آسفة لتضليلي لك بذلك الشكل. وكنت اتمنى لو كنت اخبرتك بالأمر بنفسي.»

اجابت السيدة:«لا اظن ان المسألة تستحق كل هذا.» كان هذا كلام سيدة عظيمة. ومدت يدها قائلة:«اتمنى لك رحلة موفقة، يا آنسة لانغتري.»

قبضت ميغ على اصابعها وهي تفتش، عبثاً، عن شيء من اللين في ملامح السيدة المسنة. وقالت:«إنني... إنني لم احتفظ بالدبوس الحلية الذي اهديتني إياه. فقد رددته الى السيد مونتكورت. وأرجو ان لا يكون عندك مانع في ذلك.»

اومأت السيدة قائلة:«ربما كان هذا افضل تصرّف بشأنه.» وتركت يد ميغ واستدارت مبتعدة منهية الموقف.

تمتمت ميغ شيئاً وهي تخرج من الغرفة. وكانت فيليبين

www.rewity.com RAYAHEEN

تنتظر عند الباب الخارجي، لتجد ميغ نفسها مغمورة بعناقها الحار.
قالت فيليبين:«لا تدعي الحزن يبدو عليك هكذا، ايتها الصغيرة. ان كل شيءٍ يصلح مع الوقت.» وأخرجت من جيب مئزرها مغلفاً سميكاً وهي تقول:«لقد طلبت مني السيدة ان اعطيك هذا.»
قالت ميغ:«اظن ربما كان ثمة خطأ، وهذا ليس لي أنا.»
اجابت المرأة وهي تهز رأسها بعنف، وتدس الطرد في يد ميغ:«كلا، كلا، إنه لك. يجب ان تأخذيه، الى اللقاء.»
عندما ابتعدت بها السيارة، لم تنظر الى الخلف. ولم تستطع تصديق السرعة التي حدث بها كل هذا. ولكن، هكذا حدثت الاشياء منذ وصولها الى هذه المنطقة... سلسلة من التغييرات المفاجئة. من الشمس الى العاصفة، من الحب المحموم، الى الكراهية المحمومة. وبعد، انها لا تستطيع الادعاء بأنها لم تتلق تحذيراً، قبل حضورها من مخدومها العجوز ذاك.
استقرت في مقعدها، ثم اخذت تنظر الى المغلف الذي ما زال في يدها، راجية ألا يكون نقوداً وإلا فسيكون في ذلك نهايتها المخزية... والتي هي اسوأ من ظهورها بشكل لا اخلاقي.
مزقت الغلاف، لتنظر الى ما يحتويه غير مصدقة لقد كان كتاب الشعر ذاك. وفتحته عند الصفحة البيضاء التي تلي الغلاف لتقرأ، مرة اخرى، الكتابة الباهتة.

(إلى مارغريت. من كل قلبي. ج) وتساءلت ذاهلة، كيف أمكن للسيدة ان تتخلى عن هذا الكتاب. وكيف يمكنها هي ايضاً، ان تحتمل الاحتفاظ به؟
ابتدأت تقلب الصفحات، ليفتح الكتاب من ذاته، على صفحة معينة وكأنه اعتاد ان يبقى مفتوحاً عليها. وتألقت الكلمات أمام عينيها مرة اخرى (حبي الوحيد، حبيبتي التي تسعدني) وتابعت القراءة قبل أن تغشي دموعها الكلمات (حبيبتي الحلوة، ينبوع البهجة كلها هي.)
ربما كانت السيدة تعلم ان هذه الكلمات هي كل ما عليها هي ايضاً ان تتذكر، وتأكدت من انها هي الكلمات المطلوبة. إنها ليست أغاني الأوباد طبعاً. ولكن، كيف يمكن ان يكون ثمة سواها؟
جفلت إذ اخرجها من شرودها صوت بوق السيارة يزعق فجأة، ثم تمتمة شتم من السائق:«هؤلاء الحمقى المجانين. ما الذي يظن انه يصنع؟»
نظرت ميغ لترى سيارة تقفل عليهما الطريق تماماً، لا بد ان هنالك حادث ما. انفجار عجلة مثلاً جعل السيارة تستدير بهذا الشكل. وتمنت ان لا يكون احد قد تضرر.
عند ذلك، ميّزت السيارة، فأغلقت الكتاب ببطء، وهي ترى راحتيها تعرقان، وتكومت الى الخلف في مقعدها وكأنها تحاول ان تندس متلاشية في داخل ذلك المقعد المهترىء تنجيده.
فتح باب السيارة بعنف وصوت جيروم يقول بلهجة

عادية، وسط شتائم من السائق:«ها اننا نعد الى الصفر. عودي الى حيث ابتدأنا، يا جميلتي، هيا اخرجي قبل ان تتعرقل حركة السير.»

حملقت ميغ فيه قائلة:«ابدا لن افعل مثل هذا.»

رفع حاجبيه يسألها:«هل تحبين ان احملك مرة اخرى؟»

وتحول السائق الساخط وخاطبه بكلمات هادئة لم تفهم ميغ معناها، ثم ناوله بعض الاوراق المالية.

رأت ميغ، وهي تنزل من السيارة، حقيبتيها وقد أخرجهما السائق من صندوق السيارة.

ضربت قدمها في الارض تسأله ساخطة:«ما الذي تفعله؟ دع الامتعة مكانها.»

هز السائق كتفيه، ان عليها ان تتفهم أنه، بعد هذا العطاء السخي، أن السيد حر في ان يقفل الطريق، وان يختطف منه ركابه وذلك إلى ان ينشف البحر.

ونظر الى جيروم يغمزه راضيا، قبل ان يحوّل اتجاه سيارته بعيدا.

اشتدت قبضة ميغ وهي تقول بحدة:«ما الذي تظن نفسك فاعلا؟»

اجاب وهو يلقي بأمتعتها في صندوق السيارة ثم يصفق الباب:«آخذك الى البيت.»

قالت وهي تتساءل عما إذا كان عمله هذا مبالغة منه في إكرامها عند الوداع:«الى انكلترا؟»

اجاب:«بل الى منزلي أنا، هذا إذا كانت قد ابتدأت تعتبرين منزلي منزلا لك. ذلك القصر، بالطبع سيبقى منزل السيدة مارغريت طيلة حياتها.» ونظر اليها بتلك

الابتسامة المديدة التي تجعل قلبها يخفق عالياً، وهو يتابع:«حسنا، هل يمكنك ان تمضي حياتك معي في مسكني الغونكود؟»

كانت اشعة الشمس الذهبية، دافئة، والحشائش على جانبي الطريق، والنسائم تحرك أغصان الأشجار لتنشر معها رائحة الثمار الناضجة.

قالت:«كلا.» وأردفت بضعف:«ان هذا جنون.»

فتح لها باب السيارة، فصعدت إليها بعد اذ لم يعد لها خيار بعدما ذهبت سيارة الأجرة. وربما، بعد ان يعود الى جيروم وعيه، ربما يوصلها الى مدينة ألبي كما كانت قررت.

سألته قائلة:«كيف صدف ان كنت هنا؟»

اجاب:«لقد اتصلت السيدة مارغريت بمسكني وأخبرتني انك راحلة، وبموعد وصول سيارة الأجرة إليك. وتكهنت بأنه سيحضرك من هذا الطريق. وإلا فقد كنت مستعدا لمحاصرة المطار في تولوز.»

قالت:«هل قلت ان السيدة اخبرتك؟ ولكن هذا غير ممكن إذ انها طردتني طردا.»

قال بهدوء:«انها فكرت بأن من الافضل لك ان تكوني معي، إلى ان تجد الوقت الكافي لتفرغ من شأن مارغوت.» وابتسم لها، وهو يتابع:«انك لست الوحيدة التي في استطاعتها القيام بدور تمثيلي، يا جميلتي.»

سكتت لحظة، ثم قالت بصوت منخفض:«لقد عرفت بمسألة تلك العروض وحقيقتها.»

قال:«ارجو ان لا تكوني قد اشركت السيدة في هذه المعرفة، إذ ان كرامتها. فهي ستظن انني اقدم إليها إحسانا.»

قالت:«ولكن هذا ليس احساناً، إذ انه لو ان الامور كانت قد سارت كما يجب، وتزوجت من جدك، لكانت قد حصلت على سعادتها وراحتها على الدوام. وأنت الآن، فقط... تصلح ما فسد.»

قال برقة:«انك متفهمة إذن للأمور. لقد كنت متأكداً من ذلك فيك.»

عضت على شفتها قائلة:«ولكن ما كان لك ان تعرف ذلك، خصوصاً بعد ان اسأت الحكم عليك وأطلقت عليك نعوتا شائنة.»

قال:«ربما كنت استحق ذلك لإساءتي الحكم عليك وإطلاق نعوت شائنة عليك انا ايضا.»

قالت:«ولكنني انا ادعيت انني مارغوت ولا شيء يمكن ان يغيّر من هذا، بينما ذنبك انت كان لا يخرج عن الرقة الزائدة.»

أوقف جيروم السيارة الى جانب الطريق، ثم قال بلطف:«ولكنني لم أكن رقيقا معك، لقد ظننت ان من السهولة ان أكرهك لما اخطأت بحق كيرين الرقيقة الدافئة المشاعر والتي تحب زوجها الى درجة بالغة.» وهز كتفيه متابعا:«مع ان ليس في أسرتنا من استطاع ان يفهم السبب في ذلك. عند ذلك قابلتك، ليتملكني شعور لم اعرفه من قبل، ادركت معه انه ليس في امكاني ان ابعدك عن حياتي. وبعد ذلك رأيت اسمك

على امتعتك.» وهز رأسه متابعاً:«اظنها كانت اسوأ لحظة في حياتي، حين رأيت انني انجذبت الى فتاة فاسدة كانت تحاول ان تدمّر حياة ابنة عمي. وصمّمت على ان ابقى بارد المشاعر وأنا ألاحقك، ولكن في كل لحظة كنت اقترب فيها منك، كانت مشاعري تتمزق، فمن ناحية كنت اريد ان انتقم منك دون رحمة، ومن ناحية اخرى، كنت ارى ان ابقيك معي طيلة حياتي، وذلك في نفس الوقت.»

قالت برزانة:«لا أرى في ذلك أي شيء خطأ.»

ابتسم وهو يلامس وجنتها:«آه، سأذكرك بكلامك هذا، في ما بعد.»

قالت بصراحة ونظراتهما تتعانقان:«ارجو ذلك.» لم يعد ثمة شيء مستورا. فهو يسيطر على احاسيسها بأجمعها، نفسيا وجسديا.

قال:«وفي هذه المرة، سأعاملك بالرقة التي تستحقينها. كان عليّ ان ادرك منذ البداية انك لست مارغوت.» وأمسك بيدها يضغطها.

قالت مازحة:«هل لأنك وجدتني طابعة فاشلة؟»

ضحك قائلا:«كلا... وإنما لكل شيء قلته.. وكل شيء قمت به. ولكنني اخرست شكوكي ورأيت فقط الذي اردت ان أراه.» ولوى فمه نادما ثم تابع قائلا:«وفي الليلة الماضية، كان يجب عليّ ان ادرك انك لم ترتبطي بعلاقة مع رجل من قبل، وعندما تأكدت من انك لست مارغوت، شعرت بالغضب... غضبت على نفسي لكوني كنت اعمى وأحمق وعديم الاحساس. حتى ان

هذا الغضب طالك انت ايضاً.» وتأوه وهو يتابع:«في تلك اللحظة التي كان علينا فيها ان نتعلم الحب، اخذنا نتبادل الصراخ.» ونظر إليها بألم وهو يسألها:«اما كان عليك ان توليني ثقتك وتخبريني بالحقيقة قبل ذلك، يا مارغريت؟»

تنفست بعمق قائلة:«لقد اردت ذلك كثيراً. ولكن الامر لم يكن يخصني وحدي، ذلك ان مارغوت قد حملتني على الحضور رغماً عني وذلك بتهديدي ببيع بيت مربيتي العجوز ووضعها في الملجأ، إذا أنا لم اوافق.» وسكتت برهة، ثم قالت عابسة:«في الحقيقة، ربما هذا سيحدث الآن، فأنا لا اثق بمارغوت ولا بوالدتها بالنسبة لهذا الأمر.»

سألها:«هل تلك المربية مسنة واهنة؟»

اجابت:«كلا، ابداً. وإلا لما كانت قادرة على العناية بأطفال ابنة عمّك كيرين الآن.»

قال:«ربما كان يسرها، إذن، ان تأتي الى فرنسا للعناية بأولادنا عندما يأتون.»

طفرت الدموع من عينيها وهي تقول:«ان هذا سيسعدها جداً... أوه، جيروم.»

قال برقة:«إن هذا، طبعاً يعتمد على نقطة صغيرة، وهي إذا كنت تحبينني كما احبك. إنك لم تقولي هذه الكلمة بعد. وربما كان الأمر مبكراً، بالنسبة إليك.»

قالت:«كلا، إنه ليس مبكر ابداً، وما اغرب ان نكون نحن الاثنين واثقين الى هذا الحد.»

قال:«ليس نحن فقط. فالسيدة كانت واثقة من ذلك

منذ البداية. يجب ان اتصل بها هاتفياً حالما نصل الى المنزل لأعلمها انك معي وفي أمان، ولست بانتظار الطائرة التي تعود بك الى انكلترا.»

قطبت حاجبيها قائلة:«ارجو ان يسرّها ذلك، فقد كانت في غاية البرودة عندما تركتها.»

عبس قليلاً وهو يجيب:«كانت تريدك ان ترحلي لأنها احست ان حضور مارغوت سيزيد في توترك وتعاستك. فهي لم تكن مسرورة مني هذا الصباح عندما اخبرتها كيف انني اسأت التصرف معك من كل النواحي.»

فكرت ميغ للحظة، ثم قالت:«اتعني انها كانت تعلم، عندما رأيتها في الصباح، انني لست مارغوت؟»

اومأ برأسه قائلاً:«لقد قالت كما قلت أنا، انها كانت دوماً تشعر بذلك، لأن مثل تلك الطفلة المدللة سيئة الطبع، لا يمكن ان تصبح مثل هذه الفتاة الهادئة الرقيقة.» ونظر الى ساعة يده وهو يتابع:«اظن الآنسة مارغوت ترانت لا بد قد غادرت الآن القصر عائدة الى انكلترا، ربما اكثر حزناً وحكمة، وإن كنت اشك بذلك. وكذلك ضيوفي سيكونون قد غادروا منزلي هم ايضاً. وأرجو ألا يتقابلوا في الطريق.»

شهقت قائلة:«ضيوفك؟ اتعني كيرين؟ إذن فقد كانت هي التي كنتِ رأيتها...»

قال ضاحكاً:«ان لك نظراً حاداً، ان زوجها معها الآن. لقد اتصلت بمنزلي هاتفياً في أول ليلة كنا فيها معاً أنا وأنت، في منزلي، لتقول انها قادمة إليّ. وقد انضم إليها هو أمس. وقد اتصلوا بي لهذا، هاتفياً

www.rewity.com RAYAHEEN

اثناء العشاء. وهما الآن قاصدان باريس لقضاء شهر عسلهما الثاني في شقتي هناك.»

فكرت لحظة وعادت تسأله:«ولكن، كيف علم هو انها عندك؟»

اجاب قائلاً ببساطة:«لقد دلّه إحساسه على ذلك، وهذا جعلني واثقاً من مستقبلهما معاً.» ومدّ ذراعه يجذبها إليه قائلاً:«هل تقبلين بأن تكوني زوجتي، يا مارغريت، فتشاركينني العواصف وأشعة الشمس؟»

اجابت بابتسامة مرتجفة:«نعم. حبي الوحيد... حبيبي الذي يسعدني. وأنت، هل سترينني فجراً آخر من نافذتك الواسعة؟»

قال يجبيبها:«كل صباح من حياتنا. والآن هيا بنا الى البيت.»

عندما تحركت السيارة، قالت:«ولكن، هنالك مشكلة واحدة، يا جيروم. ما الذي سنفعله بالنسبة الى اوكتافيان؟ متى تراه سيتوقف عن تسميتي بالانكليزية؟»

ضحك وهو يجيب:«ربما، يا حبيبتي، عندما يأتينا أول ولد، فيكون هو بمثابة جده.»

وكان كلامه صحيحا...

تمت

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

قيثارة الهوى

طلبت مارغوت ترانت الأخت غير الشقيقة من مارغريت لانغتري الملقبة بـ(ميغ) ان تسافر الى جنوب فرنسا منتحلة شخصيتها لتمكث مع خالتها التي دعتها بشكل مفاجيء لتمكث معها مدة اربعة اسابيع في قصرها. (وهي عمة ابيها. التي كانت تحبه كثيراً وقد اطلق عليها نفس اسمها تيمناً بها) والتي لم تراها منذ كان عمرها تسع سنوات.

وافقت ميغ بمضض شرط ان تقنع مارغوت والدتها بأن طرد المربية ترتر سيكون خيانة لذكرى والدها، وان تعدها بأن تكتب منزل بريدونس بإسمها.

وهناك التقت بالمهندس جيروم مونتكورت الذي بدل مجرى حياتها.

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

لبنان: ٣٠٠٠ ل ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر ٧ جنيه

52-87000-34707-5